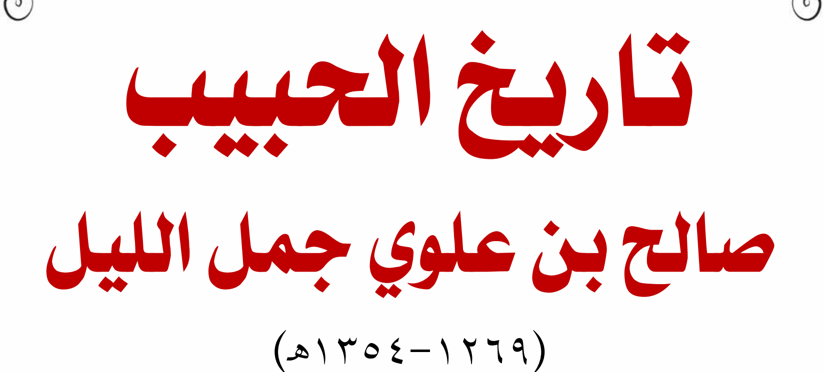


تاريخ الحبيب
صالح بن علوي جمل الليل

(١٢٦٩-١٣٥٤هـ)



تأليف

الأستاذ الشريف محمد بن سعيد البيض





الموضوع: تاريخ وتراجم.

العنوان: تاريخ الحبيب صالح بن علوي جمل الليل.

المؤلف: الأستاذ الشريف محمد بن سعيد البيض.

رقم الطبعة: الأولى.

سنة الإصدار: ١٤٤٥هـ – ٢٠٢٤م.

قياس القطع: ١٧ × ٢٤.

عدد الصفحات: (١١٨).



www.daralsalah.com

daralsalah2018@gmail.com

00967 – 733822833

الطبعة الأولى

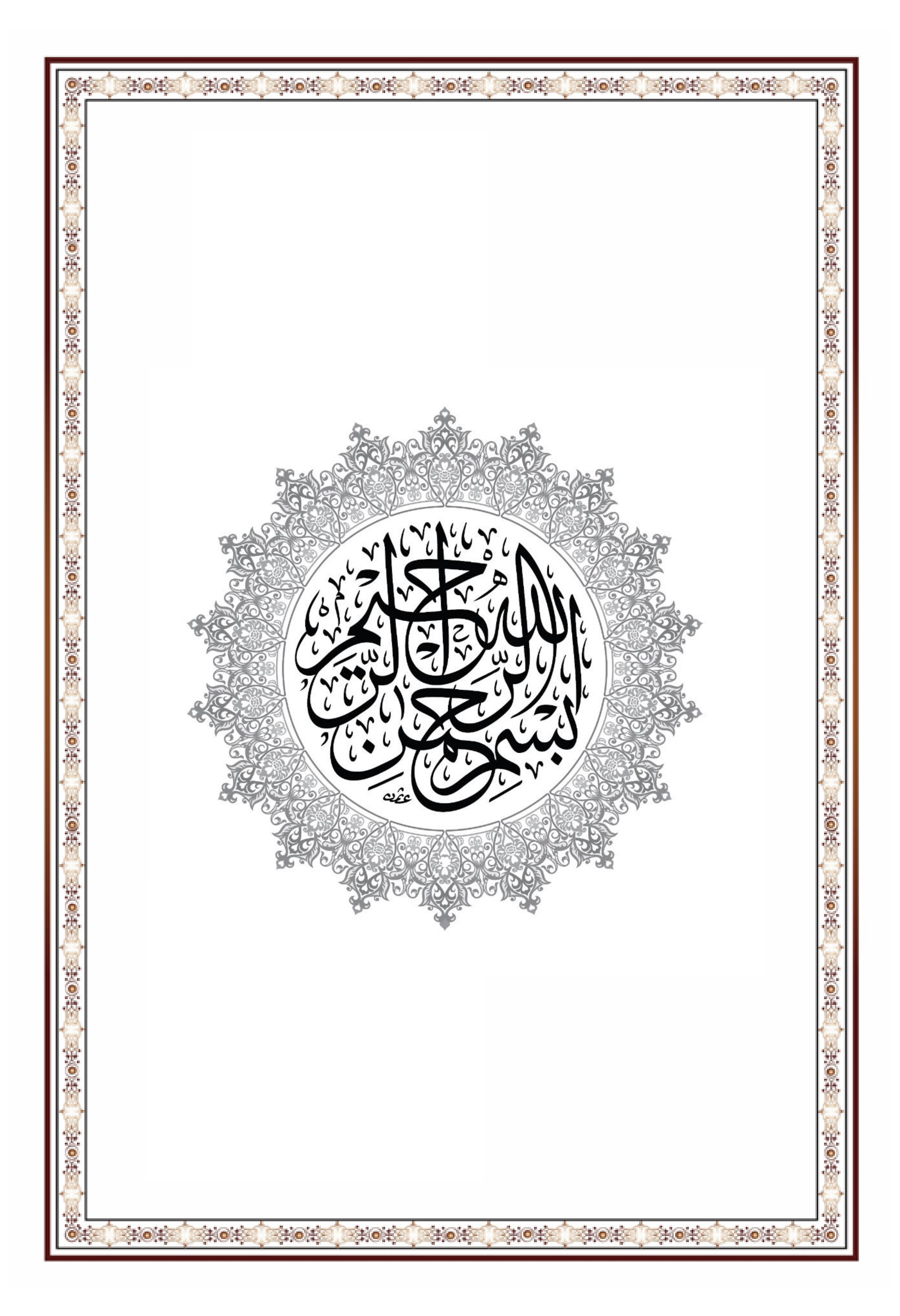
١٤٤٥هـ-٢٠٢٤م







تاريخ الحبيب
صالح بن علوي جمل الليل


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عامة للكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعهم الأخيار وبعد:

فإن كتاب تاريخ الحبيب صالح بن علوي جمل الليل للعالم الفاضل والامام الكامل السيد محمد بن سعيد البيض رحمه الله تعالى, يعد من أهم كتب تاريخ علماء شرق إفريقيا, حيث كان الحبيب صالح يعد واحدا من شيوخ مشايخ شرق إفريقيا, و لما امتاز هذا الكتاب من حسن الاحتواء على الكثير من الفوائد التي لا توجد في غيره من كتب التاريخ دعانا إلى القيام بخدمته وطبعته وإخراجه مطبوعا لأول مرة. فشمرنا أنا مع الإخوان وقمنا بهذا العمل.

وقد أضفنا في هذه الطبعة ما رأيناه ضروريا لا يستغنى عنه, كمراثي الحبيب صالح التي كتبها طلابه حيث أشار بهذا الباب المؤلف ولكن لم يكتبها في النسخة المخطوطة.

وبهذا العمل نرجو أن نكون قد أسهمنا ولو يسيرا في خدمة العلم عموما, والحبيب صالح خصوصا.

ولا شك أن الإنسان مهما حاول بلوغ الكمال في عمله لا بد له من الوقوع في النقص والتقصير, وإن تدارك أشياء فلا بد أن تفوته أشياء, وأظن أن هذ كاف في الإعتذار.

ونسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل, وأن يعظم مثوبة كل من كانت له يد في إنجازه, خصوصا أستاذنا الفاضل السيد صالح العارف بن محمد بن سعيد البيض وأستاذنا عبدالرزاق بن صالح والأخ سلطان بن عبدالرحمن الخليفي والسيد أحمد شي علي الحسيني و الشيخ مصطفى إقبال سميجا حفظهم الله وأمدنا ببقائهم, فقد لعبوا دورا كبيرا في هذا العمل, فجزاهم الله خيرا ونفعني وإياهم والمسلمين بهذا الإمام, والحمد لله أولا وأخيرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

يعقوب عبدالحميد شيخ

٢٤ ذو القعدة ١٤٤٥ هـ

الموافق ٢ يونيو ٢٠٢٤م

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكبير المتعال، الولي المانح، أحمده حمد خاضع لرحمته جانِح، سبحانك اللهمّ؛ آيات قدرتك لأولي البصائر لوائح، وما أعظمك من إله خصصت عبادك المصطفين بأسرار طوافح، وجعلتهم منابع للخيرات وللعلوم والمعارف مفاتح.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ملك وهّاب فاتح، وأشهد أنّ سيدنا محمدا عبده ورسوله ذو المقام الأرفع والوزن الراجح.

اللهم فصلّ وسلم على نبيّ الأنبياء، إمام الغر الجحاجح، صاحب النور الأبلج والدين الأقوم والحقّ الواضح، وعلى آله السادة الميامين أصحاب العزمات الطوامح، وعلى صحبه القادة الضّراغيم منائر الهدى وهداة الصّمادح، صلاةً وسلاما عليه وعليهم وعلى أشياعهم ما سبح في العلوم سابح، وسنح في الخواطر سانح.

أما بعد:

فإني أزمعتُ مع تبلبل البال، وكثرة الأشغال، والله أعلم بالحال، ومع اعترافي بقصور باعي في المعرفة، وفتور همتي في اكتساب المعالي، أن أسجّل وريقات حول الشخصية الخالدة، الشخصية المباركة، حول الرجل الفذ، والعبقري اللامع، الذي قام في السواحل لله بجهاد روحي ونفساني، حتى التحق

بمصاف العظام، وشهد له العدو فضلا عن الموالي بأعماله الجسام، فاهتدى به الجم الغفير، وتزاحم بساحته الميمونة كل مسترشد ومستمد.

ومن هو يا ترى؟!، ألا هو القطْب الرباني، والحبر الذي بمحبة الله ورسوله متفاني، بركة الأنام ومنار الإسلام، سيدنا وقدوتنا وسندنا وعمدتنا الحبيب صالح بن علوي بن عبد الله جمل الليل الذي بشره السراة الأقطاب يكون عطائه بلا كيل، إمام انحدر من السلالة النبوية الطاهرة، وعلم تفرع من الدوحة العلوية الفاخرة، فرضي الله تعالى عن هذا الحبيب وأرضاه، وشكر له وبارك في مسعاه، وجعل أعلى الفراديس مع آبائه الطيبين مثواه، آمين يا رباه يا مولاه.

هذا وقد لقيت من جمعي لهذه السيرة الزكية نصبا وكدا، وما ألوت في تتبع ما يتعلق بهذا الحبيب القطب جهدا، وذلك لقلّة المراجع المخطوطة، بل لعدمها، اللهم إلا أن يكون شيئا يسيرا لا يغني، إلا كما تغني القطرات الغليل الظمآن، أو كما يغني القبَسُ في حلك الدياجي الهائم الحيران، غير أني تذكرت قول الإمام العارف بالله سيدي عمر ابن الفارض –قدس الله روحه ونور ضريحه– حيث يقول:

وسِرْ زمناً وانهضْ كسيراً فحظّكَ الـ * ـبطالةُ إنْ أخّرْتَ عزْماً لصِحةِ

وتذكرت المثلَ السائر: (ما لا يُدرك كلّه لا يترك كلّه) أو قلة، وتذكرتُ القاعدةَ المؤصّلة: (الميسور لا يسقط بالمعسور).

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد كان جُلّ اعتمادي، ومعزى مروياتي ممّا أتلقاه مشافهة من بعض تلامذته، أو ممن عاصره، أو جالسه، كالجد العالم الفقيه الشيخ عبد اللطيف بن عثمان القمري، والجد الثقة الشيخ عبد الله بن حامد الشيرازي، والقطب العلامة الحبيب محمد بن عدنان الأهدل، ومن بنته العفيفة، وأحفاده أولاد الإمام العلامة الحبيب أحمد البدوي، وأولاد الحبابة، ومن الشيخ عبد الحميد بن محمد النبهاني، والشيخ عبد الله بن محمد باكثير، وممن باشر الواقعة.

ولا أكتبُ في هذه الوريقات شيئاً إلا بعد فحصه ووزنه بمعيار الصحة والضبط، مع مجانبة غلو العوام الذين لا يعرفون قيمة التاريخ، فيبالغون في التعظيم، ويطرون العظماء إطراءً يحُطّ مقام أولئك العظماء، ويبرزون الشخصيات إبرازا يخرجهم من حد الاعتدال إلى حَدّ الإفراط.

وبعد فهذا ما تيسر لي جمعه وكتابته ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

والحمد لله أولا وآخرا.

كاتبه

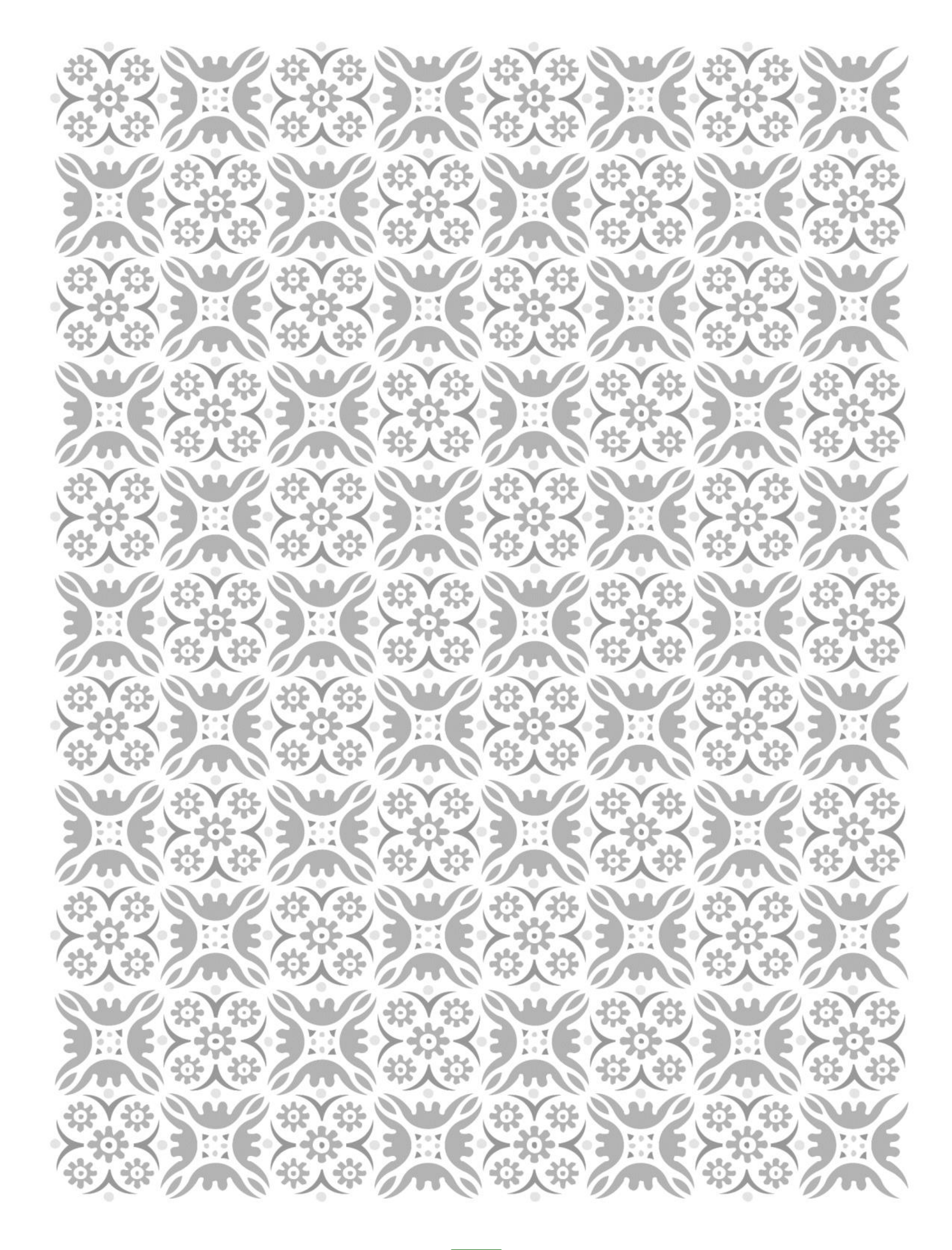
محمد سعيد عبد الله سعيد البيض

مدرسة النور الإسلامية – منبع الروّ

٢٣ شوال ١٣٩٣هـ

١٩ نوفمبر ١٩٧٣م



بعض مصطلحات القوم

(التصوف)

قال ابن عَجيبة الحسني: هو الدخول في كل خلُقٍ سَنِي، والخروج من كل خلُق دَني. **وقيل:** استرسال النفس مع الله على ما يريد. وقيل: هو العصمة عن رؤية الكون. قال: وقيل غير ذلك. قال: والاختلاف في الحقيقة الواحدة إنْ كثُرَ دلّ على بعد إدراك جملتها، ولا تصوف إلا بفقه، ولا فقه إلا بتصوف. اهـ كلامه ملخّصا رضي الله عنه.

(الطريقة)

سلوك طريق الشريعة، والتمسك بعزائمها. وللطريقة حقيقة وهي العلوم الباطنية التي يحظى بها العبد بعد الاغتراف من عين الشريعة.

(الولي)

هو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان، المواظب على الطاعة المتجنب للمعاصي. بمعنى أنه لا يرتكب معصية بدون توبة، لا لأنه لم تقع منه معصية بالكلية؛ لأن ذلك شأن المعصومين من الأنبياء والملائكة. ومن شأن الولي الإعراض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة، وليس ذلك شرطا.

(الكرامة)

الكرامة: أمر خارق للعادة، لا يظهر إلا على يد عبد ظاهر الصلاح. وقد كثرت في أولياء الزمان المتأخر عن الزمان المتقدم. وقد أجاب بعضهم بأنّ ذلك

لضعف اعتقاد المتأخرين، فاحتيج لتأليفهم ليعتقدوا في الصالحين، وأما المتقدمون فاعتقادهم تابع لميزان الشرع. انتهى.

(ثبوت الكرامات)

ثبوت كرامات الأولياء هو الحق الذي ذهب إليه جماهير أهل السنة والجماعة، فهي جائزة الوقوع؛ إكراماً لهم من الله تعالى. ومن قال بعدم جوازها لا يعول على كلامه، بل هو بديهي البطلان لما يأتي قريبا.

والعجب من قوم يبادرون إلى إنكار كرامات الأولياء، ولا حجة لهم سوى تعليلهم بأنه ما ورد في ذلك نصٌّ صريح في الكتاب العزيز، وهذا غلط منهم، فإن الكرامات قد ثبتت بالنص القرآني من قصة مريم عند ولادة عيسى عليهما السلام، ومن قصة آصف بن برخيا وإتيانه بعرش بلقيس، ومن قصة أصحاب الكهف. اهـ.

(الإمام)

الإمام: لغةً: المتّبَع -بفتح الباء-، واصطلاحا: من صَحّ الاقتداء به.

(القطب)

القطب: هو الولي الذي هو حقيق الولاية، والقائم في أحوال الأولياء على الغاية والنهاية. والقطبية الكبرى لا تكون إلا لواحد، لكن قد يتوسعون في هذا الإطلاق؛ إذ القطب في العرف كل من جمع الأحوال والمقامات، فلذا يسمّى كل من دار عليه مقام ما من المقامات، وانفرد به عن أبناء جنسه في البلد:

قطبا. فرجل البلد قطب ذلك البلد، ورجل الجماعة قطب تلك الجماعة، وهكذا. ولكن الأقطاب المصطلح عليهم فيما بين القوم لا يكون منهم في الزمان إلا واحد، كما صرح به الشعراني في الجواهر واليواقيت، وهو موضع نظر الله تعالى في كل زمان، أعطاه الله الطلسم الأعظم اهـ.

قلت: ويسمّونه: قطب الأقطاب. أو: الغوث الجامع. أو: الفرد الغوث.

قلتُ: ذكر كل هذه الا تعريف التصوف فقط العلامة الإمام الحبيب أحمد بن أبي بكر ابن سميط نفعنا الله به آمين، ذكرها مفرقة في كتابه (منهل الوارد)، وهو كتاب عظيم جليل، جمع أنواع الفوائد، لا يستغني عنها سالك ولا كامل. انتهى.



معنى الحبيب

قال العارف بالله تعالى الحبيب أحمد بن حسن العطاس ما معناه: لتعظيم أهل حضرموت لأهل البيت لقبوهم بـ **(الحبيب)**. والحبيب بمعنى المحبوب.

وأصل هذه الكلمة من حديث ابن عباس عن النبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم قال: **«أحِبّوا اللهَ لما يغذوكم به من نِعَمِه، وأحبّوني بحُبّ الله، وأحِبّوا أهلَ بيتي لحُبّي»**، رواه الترمذي بإسنادٍ حسَن.

وحديث أبي بكر الصّديق رضي الله عنه قال: (ارقبُوا محمداً في أهل بيته)، رواه البخاري في صحيحه.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم قال: **«إذا أحبّ اللهُ تعالى العبدَ نادى جبريلَ: إنّ اللهَ تعالى يحبّ فلاناً فأحبِبْه، فيحبّه جبريلُ، فينادى في أهل السّماء: إنّ اللهَ يحِب فلاناً فأحبّوه، فيحبّه أهلُ السّماءِ، ثمَ يُوضَعُ له القبولُ في الأرْض»**، رواه البخاري.

وحديث المقداد بن معدي كرب، عن النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم قال: **«إذا أحَبّ الرّجُلُ أخاهُ فليخبِرْه أنهُ يحبّه»**، رواه أبو داود، والترمذي، وهو حديث حسن صحيح.

ورأى ابنُ عباسٍ يوماً عليّاً زينَ العابدين، فقال له: (مرحبا بالحبيبِ، وابنِ الحبيب)، ذكر هذا ابن سَعْد في الطبقات.

وبمجموع هذه الأدلة، فلا غرْوَ ولا بِدع أنْ يميّز أهل بيت النبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم بكلمة **(الحبيب)**؛ إشعارا بمحبة المؤمنين لهم.

وحُبّ أهل البيت وموالاتهم من علامة الإيمان الصادق. والحُبّ يكون بالجنان، ويظهر آثاره في اللسان، ومن أحَبّ شيئا أكثَرَ مِنْ ذِكْره. ولا مُشاحّةَ في الاصطلاح، لا سيما إذا أُيِّدَ بالأدِلّة الواضحة.

وأخيراً أخرج السلفيّ: عن محمد ابن الحنفية -في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٦]-: أنه لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه وُدٌّ لعَلِيٍّ وأهْل بيته.

وأخرج أبو سعيد الخدري: أنّ النبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم قال: «**لا يبغضنا أهْلَ البيتِ أحَدٌ إلا أدخلَه اللهُ النار**»، رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين.

وممّا يُنسَبُ للإمام الشافعيّ رضي الله عنه:

يَا أَهْـل بيـتِ رسُـولِ الله حُـبُّكُمُ * فَـرْضٌ مِـنَ اللهِ فِي القُـرْآنِ أنْزَلَـهُ
يَكفِيكُم مِـنْ عَظِيمِ الفَخْرِ أنّكُـمُ * مَـنْ لَمْ يُصَلّ عَلَـيكُمْ لَا صَلَاةَ لَـهُ

فعُلِمَ مِنَ الأدلة السابقة وجوب محَبّة أهل البيت، وتحريم بغضهم التحريم الغليظ، وبه صرّح أئمة أهل السنة، وهو الحق بإذن الله، ويهدي إليه مَن يشاء.





نسب الحبيب صالح

هو سيدنا وقدوتنا، ومولانا القطب العارف بالله: الحبيب صالح، بن علوي، بن عبد الله، بن حسن، بن أحمد، بن عبد الله صاحب الطيور، بن أحمد، بن هارون، بن عبد الرحمن، بن محمد، بن عبد الله، بن أبي الحسن محمد جمل الليل، بن حسن المعلم، بن محمد أسد الله، بن حسن الترابي، بن الشيخ علي، بن الفقيه المقدم محمد بن علي، بن محمد صاحب مرباط، بن علي خالع قسم، بن علوي، بن محمد، بن الشيخ علوي جد آل باعلوي، بن الشيخ عبد الله، بن المهاجر إلى الله أحمد، بن عيسى، بن محمد النقيب، بن علي العريضي، بن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، بن الإمام علي زين العابدين، بن سبط رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم الإمام الحسين، بن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، بنت رسُول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وسَلّم وعلى آله أجمعين.

فوالده: السيد علوي كان عالما تقيا زاهدا، له مكانة واحترام عند جميع من عاصره وعرفه، وعُمِّرَ حتى جاوز المائة، توفي سنة (١٣٢٤هـ)، وخلف أولادا، وهم: الحبيب صالح، وطاهر، وعبد الله، وعبد الرحمن.

وجده الرابع: السيد عبد الله صاحب الطيور، كان من أكابر أولياء الله، وله كرامات ظاهرة، توفي على متن سفينة الهجرة، من بتي إلى انجزيجة، والسفينة تجري بهم في موج، وعلى مسافة بعيدة من الشاطئ، ففكّرَ مَن بالسفينة أنْ يجهّزوا السّيدَ، ويربطوه بين لوحين، ثم يلقوه في البحر –كما هو مقرر في الشرع–، فقاموا بذلك ليلا، ثم باتوا ينتظرون انفلاق الصبح، ولما كانوا في

الغلَس، رأوا طيوراً بيضا نزلتْ من السماء، واحتملت الجثّةَ الطاهرة، وسارت بها إلى حيث يعلم الله تعالى.

وجده الأعلى: الإمام محمد الشيبة جمل الليل، المتوفى سنة (٨٤٥هـ)، إمام عظيم، له سيرة عاطرة، وكرامات ظاهرة، وكذلك باقي أجداده من بعده، فسادة كرام، ولهم تاريخ حافل، وأكثرهم مذكورون في كتب مناقب آل باعلوي، فراجعها إن شئت.



مولد الحبيب صالح

ولد الحبيب صالح سنة (١٢٦٩هـ) ببلدة سِنغَانِ، ووالده من (سُوجِنِي)، من بلاد انجزيجة، من الجزر القمرية، وهي الجزر الواقعة جنوب خط الاستواء، (١٢) تقريبا عرضا، و (٤٤) تقريبا طولا، وهي شرقي غرينتش.

وأم الحبيب صالح: مريم بنت علي (موان مسواني)، وهي من قبيلة انيا رجب من ويمباؤ.

ويلقب الحبيب صالح بـ(موني مكو)، يعني: السيد الكبير.

نشأة الحبيب صالح

نشأ وتربى الحبيب صالح بين أحضان والديه الكريمين، تربية علمية ودينية؛ لأن بيتهم بيت شرف ودين وعلم ومروءة.

وتعلم القرآن الكريم وبعض مبادئ الدين كما يتعلم الأولاد في بلده، وقد نشأ الحبيب صالح محبّا للعلم، نَهِماً فيه، ووالده قائم عليه.

سمعت ابنته العفيفة تقول: إن والدي أخبرني قائلا: (لما كنتُ في سِنّ التمييز ابتلاني اللهُ بالجدري الصغير، وأُصِبْتُ بالحمّى الشديدة، فلم أكن أستطيع أنْ أمسكَ الكتاب بيدي، وأجهضني المرض، فأمر والدي أختي أن تمسك لي الكتاب فأقرأ على هذه الحالة، فكنت أعتقد أنّ والدي لا يحبني، حتى سمعت من بعض أصدقاءِ الوالد يقول: لا تطيق عيناي أنْ تريا ما نزل بولدي صالح، ولكن أكلّفه أنْ يتعلمَ؛ لأنّ العلمَ شَرَفٌ له، وواجب عليه).






زيارته لآمو

اضطربتِ الأحوالُ في انجزيجة؛ من ضيق العيش، وسوء التفاهم بين بعضهم البعض، فقد يؤدي في بعض الأحيان إلى احتدام الخصام، بل القتال بين بعض الأفراد منهم، وهنا بدأت أمواج المهاجرين تتدفق إلى السواحل، لا سيما زنجبار، وآمو، وإذا كانوا في المهجر تآلفوا حتى كوّنوا كتلة عظيمة متحابة.

وبعضهم هاجروا لِمَا رأوا من العادات لا تسير وفق الشرع، من غلاء المهور، والتبذير والإسراف في الإملاكات والمآتم، فهاجر قوم ديانةً، وآخرون استرواحا.

وكان من بين المهاجرين دِيانةً إلى آمو العلامة الحبيب علي بن عبد الله جمل الليل، عم الحبيب صالح، هاجر قديما سنة (١٢٧٧هـ) وله من العمر ٣٥ سنة واستوطنها، ورأى جوها مناسبا له، وهاجر أيضا ابن عمة الحبيب صالح الشيخ عبد الله إمام بن خطيب، وازدحمت آمو بالمهاجرين من أنجزيجة، وكل حصل على عملٍ يتقوّتُ به، دينيٍّ أو دنيوي.

وفي سنة (١٢٨٤هـ) استأذنَ الحبيب صالح والديه لزيارة آمو، وزيارة عمه وأقربائه هناك، فأذنا له وركب البحر، ولقي لأول مرة السفر الطويل.

وفي رحلته تلك نزل ببعض القرى النائية على البحر قليلا، فأضافه أهلها، وهيئوا له مكانا للمبيت، فاحتلم ولم يكن يعرف مكان الماء في البيت، ويستحي أن يُعْرَفَ بأنه جنب، فدعا الله تعالى مولاه، فأرسل الله له سحابةً وطفاء، فأغدقت، فاغتسل في السَّحَر فأصبحَ متطهّراً.

وصل الحبيب صالح آمو فلقي عمه هادئا حليما عطوفا، فأعجب به واستحسن البقاء عنده –لو أذن له والداه بذلك– من أن يعود إلى الجزيجة؛ حيث والده الذي تعتريه في بعض الأحايين حدة، ويكره أن يرى والده ساخطا عليه، فاستشار عمه فأشار عليه أنْ: تريّث حسبما يأتيك دعوة من والدك، وهناك سوف أرى رأيي.

وبقيَ الحبيب صالح في آمو، ويتردّد مدة الإقامة إلى حلق العلماء، يأخذ العلم ويجد فيه بكليته، وكانت آمو مكتظةً بالعلماء الكبار، أمثال السيد عبد الرحمن بن أحمد الحسيني، والسيد عبد الرحمن بن أبي بكر الحسيني، وولده الحبيب مَنْصِب أبي بكر، والشيخ محمد بن فاضل البكري، والشيخ علي بن أبي بكر المعاوي، وغيرهم ونشاط العلم فيها سائد.

وكان الحبيب يتداوى في آمو بسبب رجليه تؤلمانه، وكان يأمل الشفاء بآمو.




عودته إلى انجزيجة

بينما الحبيب صالح بآمو، وقد طاب به المكث فيها، إذ هو برسائل تتابع من والده، وتستدعيه أن يعود إلى انجزيجة، فتكدر لذلك، وأظلمت عليه الدنيا بذلك، ولم يكن له بد من الاستجابة لوالده.

فأشار عليه عمه السيد علي أن يأخذ في سفره هذا تحفةً يبعثُ بها إلى حاضنته فقط، ولا يعطي والديه شيئا، وإذا نزل بلدته أن لا يفتح صندوقه؛ حتى يرق له والده، فيأذن له بالرجوع إلى آمو.

وصل الحبيب صالح انجزيجة، واستقبله والداه بكل عطْفٍ وحنان، ولكن الحبيب كان يسير وفق خُطّة عمّه التي رسمها له، ولا يستلذ له طعام ولا يهنأ له رقود.

وقلق والده بما رأى من ولده الذي كان يتفرس فيه أمارات العظمة والولاية، فشاور الوالد أصدقاءه الخاصة لا سيما الحبيب أبي الحسن بن أحمد جمل الليل، فكل قال له: (لا داعي لمنعه من البقاء مع عمه في آمو، ما دام بقاؤه هناك نفعا له)، فأذن له والده بالعودة إلى آمو بكل قلبه، وهو راض عنه.

استبشر الحبيب صالح، وفرح واستنار وجهه، حتى عرف بذلك، وبدأ يهيئ أهبة سفر الهجرة إلى آمو، فصار يودع وداعا يحثه إلى السعادة والقطبية، وإلى نشر كلمة الله العليا، وإلى قلوب ظامئة تؤمل من يرويها فترتوي.

وأما والدة الحبيب صالح فكانت تفضل أن يسكن ولدها الحبيب بعيدا من والده؛ لما كانت تعرف من حدة زوجها، وقد قال رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم «**الحِدّةُ تعْتري خِيارَنا**».

وممّا سَرّ والدة الحبيب التحفة التي بعث بها إلى حاضنته فقط، ثم صنع الحبيب صالح فطائر الباباي بالسكر والنارجيل، كما رأى في آمو فأعجب بها الوالد، وقال له: ما هذا الطعام؟، فقال له: إنه من الباباي، فقال: والله إنه ألذ طعام أكلته أنا في عمري.





هجرته إلى آمو

في سنة (١٢٨٧هـ) ركب الحبيب صالح سفينة الهجرة، وأم آمو والعناية الرحمانية تلاحظه، والآمال العظام تدعوه.

وكان الحبيب دائم المطالعة، إذا بدأ أي كتاب لا يتركه حتى يختمه، مع دقة وإمعان النظر فيه، ويطالع أينما كان، والمطالعة قرة عينه، وغذاء روحه الطاهرة.

وبينما السفينة تمخر عباب البحر، والحبيب غائب في لذة المطالعة، لا يحس بما كان وبما يكون، التطمت الأمواج، واضطرب النظام، وماج الركاب وهاجوا، والحبيب منهمك في المطالعة، ولم يستفق بما يجري، حتى جاء موج هائل فلَطَم الكتاب، فانتبه الحبيب وقال: ما هذا؟، فقيل: الغرق. فرفع يديه إلى رب السماء الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، فهدأ البحر، وساروا على متن السلامة، حتى نزلت بهم السفينة في آمو.

وكان نزيله في آمو الشيخ عبد الله إمام بن خطيب ابن عمته السيدة خديجة بنت السيد عبد الله جمل الليل، وجد الشيخ عبد الله بن محمد كدارا باكثير من جهة أمه.

وتلقاه عمه بصدر رحيب، وكان معه حالا ومالا، وشجعه في تحصيل العلم، وبقي الحبيب عند ابن عمته وتحت نظر عمه مدة مديدة، حتى ابتنى لنفسه مسكنه، وكان أول بيت سكنه لنفسه كان في درجاني. وكان الحبيب مولعا بتأسيس الدور، فبنى في درجاني أربع بيوت، ولما انتقل إلى حيه الرياض أسس بيوتا غير قليلة.

الأسباب التي دعته للهجرة

١) من الأسباب التي دعته للهجرة إلى آمو حدة طبع والده وخوفه العقوق لوالديه واستئناسه بعمه.

٢) غلاء المهور في بلاد الجزيجة غلاءً لا يتفق مع الشريعة الغراء.

٣) العادات السيئة في الإملاكات والمآتم.

٤) معالجة رجليه، وأمل في آمو أن يجد طبيبا يعالجه.

٥) نهمه للعلم ووجود جوّ آمو مناسبا له.






تحصيله للعلم وشيوخه

كان الحبيب صالح مجدا في طلب العلم، يثابر عليه، ويتحمل المشاقات من أجل العلم، فأخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه، وحين جاء آمو للمرة الأولى أخذ ما تأتى له من العلوم، ولما هجر إلى آمو سنحت له الفرصة في الاستزادة في العلم، ولازم شيوخ آمو الموجودين آنذاك.

مشايخه

من أبرز مشايخه:

١) والده العلامة الحبيب علوي بن عبد الله جمل الليل، المتوفى سنة (١٣٢٤هـ).

٢) عمه العلامة الحبيب علي بن عبد الله جمل الليل، المتوفى سنة (١٣٣٣هـ).

٣) الشيخ عبد الله بن أحمد القمري شيخ الوترية في انجزيجة. له أكثر من ألف طالب حفظهم القرآن.

٤) العلامة الشيخ محمد بن فاضل البكري، المتوفى سنة (١٢٨٧هـ).

٥) العلامة السيد أهدل بن أبي بكر الأهدل، المتوفى سنة (١٣١١هـ).

٦) العلامة السيد علوي الشاطري (موني ومكه).

٧) العلامة السيد منصب أبو بكر بن عبد الرحمن الحسيني، المتوفى في سنة (١٣٤٠هـ).

٨) العلامة الشيخ علي بن أبي بكر المعاوي.

٩) العلامة السيد عبد الرحمن بن أبي بكر الحسيني المتوفى سنة (١٢٩٩هـ).

١٠) العلامة الشيخ علي بن محمد المعاوي.

١١) العلامة السيد أبو الحسن بن أحمد جمل الليل.

الوضع في آمو

كانت آمو مكتظة بالعلماء، وحفَظَة القرآن الكريم، وكان أهلها حريصين على العلم، حتى جعلوا العلم وراثيا يرثونه كابرا عن كابر، وقيدوا العلم بقيود وشروط يصعب على مريده تكميلها، بل لا يتأتى له الحصول عليه إلا بعد الّتي واللّتيّا. ومن أرادوا أن يمنحوه العلم يعلمونه في زاوية منفردة، ولا يسمح للحضور فيها إلا نفر قليل يعدون بالأصابع.

اقتحم الحبيب صالح هذه الحلبة برباط جأش، واقتبس العلم في مظانه، حتى حصل له ما حصل، ونبغ فصار معدودا من كبار العلماء.

ومن الشروط التي تجب مراعاتها في تحصيل العلم الذبائح المتعددة لكل كتاب من كتب العلم إذا ما ختموه، فالغنم مثلا لعمدة السالك، والبقرة لمنهاج الطالبين.

وقد اتفق أن تعلم الحبيب صالح مع الشيخ عبد الله باكثير دهرا في مسجد النور، ولا يملكان ما يقوتهما، اللهمّ إلا ماء البلاص المبخر باللبان، وكان يتعلمان على هذه الحالة حاشية ابن عقيل حتى ختماها.

العراقيل التي واجهته

كان الحبيب صالح يتنقل من دار إلى دار، ومن مكان إلى مكان، يبحث عن مسكن ملائم له، حتى بلغ به الانتقال إلى حلة درجاني (باب شيلة).

وافتتح هناك كُتّاباً لتعليم القرآن الكريم، ومبادئ الدين، ويقول: هذا من واجب المسلم، وهو أيضا عمل والدي. فجعل الناس يسعون إليه؛ ليتفقهوا في دينهم على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم.

ضجّت آمو بهذا المشروع العظيم الذي يقوم به الحبيب، وكثر القيل والقال، ولفقوا دعايات كاذبة حول شخصيته الطاهرة، وقامت قيامة المعارضة من صناديد آمو، بل ومن بعض علمائها، حتى جفاه الأصحاب والمعارف.

بقي الحبيب فريدا وحيدا لا عون له ولا نصير إلا مولاه الذي يحوطه ويكلؤه، وإلا الأفذاذ الذين لا بُدّ لهم من مؤازرته ومناصرته.

وقام الشعراء بدورهم يناوؤونه بما جاد به قريحتهم الظالمة المعتدية.

ثم أرادوا اغتياله، وبيتوا لذلك مكيدةً، فسمع بذلك راجيس –القائم بأعمال الحكومة البريطانية بآمو–، فأزعجه ذلك، فأمر مبوشيز –واحدا من شُرْطة الحكومة، وهو قمري مِحِبٌّ للحبيب صالح– أن يقبض على كل من رآه بعد هدأة الليل قريبا من بيت الحبيب صالح، وأصْحَبَه بعضَ الشُّرطة.

فعلم المبيّتون بذلك، وألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب، وتجسسوا الأخبار، فعلموا أن الحكومة تؤازر الحبيب صالح، فسكنوا بعضَ شيئ.

وطرح بعض أعدائه ماءً على طِينِ باب منزله؛ ليوحلَ الأرضَ، فيزلقَ الحبيب، وذلك عند الفجر، وحين خرج الحبيب إلى الصلاة زلق، ولكنه بعد الصلاة قام وحمد الله، وقال: كانت رجلاي تؤذيانني، واليوم زلقت فعوفِيت، ولله الحمد.



اتصاله بالقطب الحبيب علي الحبشي

كان الحبيب صالح يجالس كافة الناس، ويسايرهم ويداريهم؛ تألفا بهم، واجتلابا لقلوبهم إلى الحق، وكان يكثر مجالسة الحضارم، وكانوا يتحادثون عن حضرموت وكبارها وعلمائها، ولا يفتؤون يذكرون قطب الأقطاب سيدي الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي، وما له من مناقب ومزايا، وأعمال عظيمة، وأسرار وأنوار، ويذكرون سيرته العاطرة، وإرشاداته وكلامه.

تأثر السيد به تأثرا قويا، وإذا برباط روحي يربط بينهما، فبدأ الحبيب صالح يكاتب القطب الحبيب علي الحبشي ويراسله، فيجيبه بما تقر به العين.

ثم التقيا سِرّاً روحيا، ثم التقيا شخصيا مع أن الحبيب صالح لم يرحل إلى حضرموت، والحبيب علِي لم يرحل إلى السواحل.

أخذ الحبيب صالح الإجازةَ من الحبيب علي مشافهةً، ومنحه من العلوم التي يُضَنُّ بها على غير أهلها، ما هو أهل له، حتى صار الحبيب علي شيخه الروحي، وشيخ فتوحه، وصديقه الأكبر.

جاء واحدٌ لزيارة الحبيب صالح، فلم يجد أحدا خارج بيته، وكان الحبيب قد انتقل إلى الرياض، فوجد الرجل باب بيته مفتوحا، فاقتحم فيه، فرأى الحبيب صالحا جالسا مع رجُل غريبٍ، بصورة جميلة عربية، وهيبة ومكانة، فسلم عليهما فردا عليه السلام، ولم يزيدا.

ثم خرج الرجل، فلقي في ساحة بيته العلامة الحبيب أحمد البدوي، فسأله: من أين خرجتَ الآن؟، قال: جئت من عند والدك، قال: رأيته مع من؟، قال:

مع عربيّ غريب، يتحدّثان بكلام لا أفهمه، قال: أتدري من ذلك العربي؟، قال: لا، قال: ذلك العارف بالله القطب الحبيب علي الحبشي، وهذا أوان اجتماعهما، ولا يسمح لأحد أن يدخل على والدي هذه الساعة. واسم الرجل الذي رآهما: سالم بن حسين.

كانت عجوز تشتغل في ساحة الرياض، كانت تَقُمُّها وتنظفها، وذات يوم رأت الحبيب مع رجُل غريب يتحدثان طويلا، لا يلتفتان إلى مارٍّ أو مُسَلِّمٍ، وفي اليوم الثاني رأتِ الحبيبَ وحدَه غارقا في الفكرة، فقالت له: يا سيدي أين ضيفك الذي كان معك البارحة؟، قال: أوَ رأيتيه؟، قالت: نعم، قال: فاكتمي عني ذلك، إنه العارف بالله الحبيب علي الحبشي.

ذكر هذه القصة الحبيب صالح نفسه في آخر حياته لبعضِ مَن تعلّق به، قائلا : لا يعرف الحبيب علي الحبشي تمام المعرفة من أهالي آمو الذين لم يسيروا حضرموت إلا تلك العجوز.

وإذا ما جاءَه رجالُ الغيب وأهل المكاشفات يقول لتلامذته: (جاءني اليعاسيب، ويسلمون عليكم).

ولما قَدِمَ العلامة الحبيب منصب الحسيني من حضرموت، جاء بعلبة التبغ للحبيب صالح، التي نسيها عند دكة الحبيب علي الحبشي، وكان الحبيب صالح يحب شم التبغ تداوياً.

وذكر الحبيب حسين بن السيد علوي في خطابه الذي وجهه إلى عرب آمو -وسيأتي الخطاب بأكمله- قال: (وبالله المعبود ما أنا في مقالي كذوب، الحبيب صالح شفناه في مشهد هود).

فعلم مما ذكرنا أن الحبيب صالح كان يزور حضرموت عامة، ويزور شيخه الروحي خاصة مرارا، ويبادله القطب الحبشي بالزيارة والمجالسة.

وسبب بناء للمسجد بذلك المكان الموجود الآن: أن الحبيب صالح بحث عن مكان مناسب لبناء المسجد، فرأى الحبيب علي الحبشي يصلي بمكان المسجد.





طريقة الحبشي رضي الله عنه

بدأ الحبيب صالح يطبق طريقة الحبشي التي هي قبس من طريقة آل باعلوي، بدأ يطبقها وينشرها، وينشر سيرة الحبشي على الجيل السواحلي الداكن، بعد أن أجازه القطب الحبشي إجازة عامة، وجعله خليفة له في السواحل.

وأرسل إليه الحبيب علي الحبشي بطانةً تتكون من باخبره، ورضوان، وعمر سالمين بافقه، وأحمد عقيده، بالطِّيران، والمراويس، والمدروف، ومعهم ديوانٌ جامع لقصائد الحبشي، وقصائد السادة الأولياء، أمثال قطب الإرشاد مولانا عبد الله بن علوي الحداد، والقطب العيدروس، والقطب ابن سميط، وغيرهم.

وطريقة الحبشي مؤسسة على النهج المستقيم، ومبنية على الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، والكشف، والعيان.

وتسير على :

١) الدعوة إلى الله تعالى، وبذل النفس والنفيس فيها، وإرشاد الناس إلى المسلك المحمود، بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢) استحضار القلب مع الله، وكثرة الذكر لله تعالى، وحب رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، مع تعظيمه تعظيما لائقا بمقامه العظيم.

٣) حب ا لطاعة، وبغض المعصية.

٤) إقامة الموالد، والحضرات الدينية، والسماع الطيب الذي أجازه أكثر علماء أهل السنة والجماعة، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

٥) ثم جعل ليلة الاثنين لحضرة الحبشي رضي الله عنه، لا تقرأ فيها إلا قصائد من نفائس الحبشي، وتفتح حضرته بقصيدته: (يا فتاح افتح لنا بابك)، ثم موخذين، ونشيدتين، حسب إرادة الحُضّار بلا قيد، ولكن بشرط أن تكون كلها من كلام الحبشي، وتختم الحضرة بـ (يا حبيبنا علي) غالبا، ثم: (قولوا علي بن محمد ربّنا قد شفاه)، ثم الفاتحة والانتهاء.

تأثر الحبيب بالسماع وجواز السماع شرعا

كان السيد الحبيب صالح يتأثر بالسماع تأثرا بالغا، ويغيب عن عوالم حِسّه، ويشاهد أسرار الغيب وأطواره، ويتواجد تَواجُداً يليق بما بلغ به مقامه الأسمى في الولاية والترقي.

وللحبيب صالح ذوق خاص في السماع والنغمات، ويفضل اللحن الذي ورد من حضرموت، ومن سماع القطب الحبيب علي الحبشي، وذلك لسِرٍّ يرى فيه، وبما أدى إليه حاله ومقامه، ولشدة تعلقه بالقطب الحبشي، لا بمعنى أنه يحرم الألحان المستحدثة التي لا تحط من مقام السماع -كما يدعيه البعض-.

وإذا أنشدت عنده قصيدة بنغمة حادثة لا يتذوق بها، يقول: (لا أريدها، اذهبوا وارتادوا لها مكانا وأنشدوها فيه).

واعلم أن عدم الإرادة غير التحريم، فعدم الإرادة شيء، والتحريم شيء آخر، وأن الحبيب كان لا يريد تلك الأنغام، لا بمعنى أنها حدثت، بل بمقتضى ذوقه، كما قال القطب الحبشي رضي الله عنه: (الذوق واسع وأهل الذوق يتفاوتون)، فكل لحن سواء من حضرموت، أو من أي مكان، أو من أيّ حنجرة حدثت، وبعد مُضِيّ زَمَن طويل صار اللحن قديما، وهذه الألحان سوف تصير قديمةً يوماً مّا.

قـل لمن لم يـرَ المعاصرَ شيئا * ويـرَى للأوائـلِ التّقـديمَا
إنّ ذاكَ القـديم كـانَ حـديثا * وسـيبقى هـذا الحـديثُ قـديمَا

فاعرف يا أخي أذواق السادة العارفين بالله تعالى، وما يهدفون إليه في سماعهم وكلامهم، ثم اعرف هدف المتقولّين الذين يتشدقون في أنغام السماع فقط، ويرخون الذيل، ويسترسلون في أهواء أنفسهم، واستشباع نهماتهم النفسانية المحضة، فبالله عليك هل كان الحبيب صالح لا يرضيه النغم المستحدث، ويرضيه كيت وكيت؟!. قيود السماع للذوق والمقام، وقيود الشريعة لقهر النفس وإدخالها الجنة بالمتابعة، أو النار بالمخالفة، فاعلمْ راشِداً.

وخِتاماً سُئل العلامة الحبيب أحمد البدوي عن رجل يضع ألحان الفوتوغراف في القصائد الدينية، فقال: (أولئك:﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [الزمر: ١٨]).

(وأمّا إباحة السّماع جملة): فقد قال الإمام الغزالي في الإحياء ما ملخصه: (قد دلّ النص والقياس جميعا على إباحته، **أمّا القياس:** فسماع الصوت من حيث أنه طيب، فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال.

وأما النص: فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن قوله تعالى: ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ [فاطر: ١]، فقيل: هو الصوت الحسن، وفي الحديث: **«ما بعثَ اللهُ نبيّاً إلا حسَن الصوت»**. وقال صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم: **«للهُ أشَدّ أذنا للرّجُل الحسَن الصّوتِ بالقرآن مِنْ صاحِبِ القَينَةِ إلى قَينَتِه»**، وقال -في مدح أبي موسى الأشعري-: **«لقد أُعْطِيَ مزمارا مِنْ مَزامير آلِ داود»**، وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٩] يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسَن.

قال: ولو جاز أن يُقال: إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون في القرآن، للزمه أنْ يحرم سماع العندليب؛ لأنه ليس من القرآن، وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له، فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة؟!.

فينبغي أنْ يُقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام، باختيار الآدمي، كالذي يخرج من حلقه، أو من القضيب، والطبل، والدف وغيره، ولا يستثنى من هذه إلا الملاهي، والأوتار، والمزامير، التي ورد الشرع بالمنع منها، لا لذّتها؛ إذ لو كان للذة لَقِيسَ عليها كل ما يلتذّ به الإنسان.

قال: ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوتٍ وألحان، جاز إنشاده مع الألحان، فإنّ أفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحاً.

قال: ولم يَزلِ الحِداءُ وراءَ الجِمَال مِنْ عادة العرب في زمان رسُول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، وزمان الصحابة رضي الله عنهم، وما هو إلا أشعار تؤدّى بأصوات طيبة، وألحان موزونة، ولم يُنقلْ عن أحدٍ من الصحابة إنكاره، بل ربما كانوا يلتمسون ذلك؛ تارةً لتحريك الجمال، وتارة للاستلذاذ، فلا يجوز أنْ يحرم من حيث أنه كلام مفهوم مستلذ، مُؤدَّى بأصواتٍ طيبة وألحان موزونة.

قال: فكلّ ما جاز السرورُ به جاز إثارةُ السّرورِ فيه، ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم: (طلعَ البدرُ علينا.. إلخ). فهذا إظهارُ السرور لقدومِه صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، وهو سرور محمود، فإظهاره بالشعر والنغمات والرقص

والحركات أيضا محمود، فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا في سرورٍ أصابهم. انتهى.

وقال العلامة العارف بالله الحبيب أحمد بن أبي بكر ابن سميط في (منهل الوراد) ما ملخّصُه: في الشُّبّابَة المعروفة التي تُجْمَع مع الدُّفّ في سماع السّادة بني علوي في حضرموت قديما وحديثا، أقول: إنّ الاعتراض على مثل هؤلاء بعلمهم ما هو إلا لقُصُور فهْمِ المعْتَرِضِ عن إدراك مسائل الفقه الغامضة الدائرة بين الأحكام. والذي ينبغي لذي جمود التّوقف، وتسليم الأمْر لأهلِه، فسماعهم كما قاله حجة الإسلام مؤكد للحبّ والعشق، مهيج للشوق، ومثور نارَ القلب، ومستخرجِ ضُروبا من المكاشفات والملاطفات.

قال: وهؤلاء لم يجمعوا الشبابة مع السماع إلا بعد اطلاعهم على أقوال العلماء القائلين بإباحة اليَراع، ورجّحوا أقوالهم بأدلة ظاهرة، ومنهم الإمام الرافعي، وقد أجاب بعضهم حين سُئل عَن الألحان المطربة بقوله: قد أباحَه مَن لا يُعْتَرَضُ عليه؛ لقوة حاله.

قال: ووقع لسيدي عبد الله العيدروس -صاحب الشُّبَيكة بمكة- أنه أمر بإحضار السماع، وكان عنده الشيخ الإمام أحمد بن حجر الهيتمي، فصفق العلامة ابن حجر والحاضرون، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت جميع الموجودات تصفق فصفقت معها. وألف كتابه المسمى: (كفّ الرّعاع عن محرمات السماع)، فأخذ بعض العلماء من تعبيره بالرعاع: أن العارفين لا حكم لنا عليهم. فكتب الشيخ ابن حجر بعده: (وهو أخذ حسن مقبول؛ لأنه من تحلى

بحقيقة المعرفة يكون مجتهدا، فلا يعترض عليه لأنه لم يسمع بشهوة تدعو لمذموم أصلا قطعا، بخلاف غيره). انتهى ما كتبه ابن حجر.

وقال: قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري -في شرح المنهج-: (صحّح الرافعي حِلّ اليراع، ومَالَ إليه البُلقيني وغيره؛ لعدم ثبوت دليل بتحريمه). انتهى.

وفي شرح الإحياء للعلامة السيد مُرتضى الزبيدي ما ملخصه: (وقال الرافعي: وقد روي أن داود عليه السلام كان يضرب بها في غنمه. قال: ورُوِيَ عن الصحابة الترخص في اليراع، ولم تزل أهل الصلاح والمعارف يحضرون السماع بالشبابة، وتجري على أيديهم الكرامات الظاهرة، ولهم الأحوال السنية، ومرتكب المحرم -لا سيما إذا أصر عليه- يفسق به). انتهى.

وفيه أيضا: (قال الجاجرمي: ولا يحرم اليَراع، واختار الجواز من المتأخرين ابن الفركاح، والعِزّ ابن عبد السلام، وابن دقيق العيد، والبدر بن جماعة) اهـ.

قال السيد العلامة علوي بن أحمد السقاف في حاشيته على فتح المعين -بعد أن أورد الكلام في اليراع-: (وعليه عمل بعض السادة الأشراف بني علوي بحضرموت، ومنهم من بلغ درجة الرافعي، والنووي في مذهب الإمام الشافعي، وتقدم في علمي الظاهر والباطن، كما حققه الإمام الشيخ عبد الله باسودان وغيره) انتهى.

وقال السيد محمود أبو الفيض المنوفي -في التصوف الإسلامي الخالص-: (في السماع: أمّا حكمه الشرعي فداخل في حديث الرسول صَلّى اللّهُ علَيهِ وآلِهِ

وسَلّم: «**إنما الأعمال بالنيات..**» إلخ. قال بندار بن الحسين رحمه الله: كُلّ مَن لم يحب السماع الطيب من الآدميين فذلك فلنقص في حاسّته.

قال: وقد أنشَد كعبُ بنُ زهير رضي الله عنه بين يدي رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم قصيدتَه المشهورة (بانت سعاد)، وما صَحّ جواز الإنشاد بالشعر فسواء كان إنشاده بالنغمة الطيبة والصوت الحسن، أو يكون إنشاده بالحَدْو والحَدْر والنحْب والرمل والرجز. هذا إن لم يكن لذلك مقاصد فاسدة، وإرادة باطلة، ومجاوزة الحد، ومخالفة الشرع. والله أعلم.

قال: قال الشيخ السراج رحمه الله: وقد رخّص في السماع واستجازه جماعة من أئمة العلماء والفقهاء، منهم مالك بن أنس، والمشهور عنه وعن أهل المدينة أنهم كانوا لا يكرهون ذلك، وفي تجويز ذلك أخبار عن عبد الله بن جعفر، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم، وعن غيرهم من الصحابة والتابعين، وقد أجاز الشافعي رحمه الله أيضا السماع، والترم بالشعر ما لم يكن فيه إسقاط للمروءة، وقد ذكر عن ابن جريج أيضا أنه كان يرخص في السماع. انتهى ملخصا.

قلت: ذكر الإمام الشوكاني في نيل الأوطار -في الجزء الثامن- جُملةً من الصحابة والأئمة الذين سمعوا الغناء بالأوتار، أو أباحوه، منهم: عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وحسان بن ثابت، رضي الله عنهم. هؤلاء من الصحابة.

ومثل ذلك عن القاضي شريح، وابن المسيب، وابن أبي رباح، والزهري، والشّعْبي، وعمر بن عبد العزيز قبل الخلافة، وقاضي المدينة سعد الزهري، ومفتي المدينة الماجشون، وشعبة، والمنهال، وكل هؤلاء من كبار أئمة الإسلام.

ثم قال الإمام الشوكاني: (مذهب مالك إباحة الغناء بالمعازف، وروي الإباحة عن بعض الشافعية، منهم الشيخ ابن عبد السلام وابن العربي). قال: (أما مجرد الغناء فالاتفاق على حِلّه، وإجماع الصحابة والتابعين عليه). انتهى بمعناه.

وقال في الأنوار: (ولا يحرم اليراع والدف، وإن كان فيه جلاجل، لا في الأملاك ولا في الختان، ولا في غيرهما، ولا يحرم الطبل إلا الكوبة، ولا يحرم الرقص إلا أن يكون فيه تكَسُّر وتثَنٍّ). اهـ.

وقال الشيخ البيحاني: (والحق أن الغناء والآلات لا تحرم إلا إذا شغلت عن ذكر الله وعن الصلاة) اهـ.

قلت: وهذه القاعدة تدخل في كل مباح شغل عن ذكر الله وعن الصلاة، وأما ما انتفى العارض فيكون مباحا، كما هو المفهوم.



العلامة السيد منصب الحسيني

هو العلامة الحبيب منصب أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وينتهي نسبه إلى عبد الله بن شيخان بن الحسين ابن فخر الوجود الشيخ أبي بكر بن سالم نفعنا الله بهم آمين.

ولد بآمو سنة (١٢٤٣هـ)، وأمه حفصة بنت عمر، وتلقى مبادئ العلوم بها، ثم سافر إلى حضرموت سنة (١٣٠٦هـ)، ومكث بها سنة، ثم ذهب إلى الحجاز، وأخذ العلم في حضرموت والحجاز عن الأئمة المرموقين هناك.

ثم عاد إلى السواحل وتولى القضاء في (كزمكازي بزنجبار) مدة، ثم عاد إلى وطنه آمو، وقام بنشر العلوم بها وتخرج به علماء عديدون.

كان السيد منصب شاعرا في السَّوَاحِلِيّة مطبوعا، وكاتبا بارعا، وكان ثاقب الفهم، حاضر البديهة، ألْمَعِيّاً فطِناً، كريم السجايا، مبادرا إلى أنواع الخيرات والمبرات، رؤوفا عطوفا.

وله مؤلفات في اللغة السَّوَاحِلِيّة نظما، منها: (تفسير مولد البرزنجي، وعقيدة العوام، والهمزية، والبردة، وتبارك، وأهل الكساء، والدرر البهية)، وغير ذلك من المنظومات العلية، بلغة فصيحة؛ لأنه كان إماما في السَّوَاحِلِيّة، معترفا به بالإجماع. ولغته حُجّة يستدل بها عند كافة النابغين في السَّوَاحِلِيّة.



موقف الحبيب منصب من الحبيب صالح

كان الحبيب منصب مُحايداً مُسالماً، يترك ما لا يعنيه، وكان يعتقد في الحبيب صالح اعتقادا حسنا، ويجالسه ويخالطه.

إلا أنّ الأعداء نفثوا سُمّهم فيه، وقالوا له: إن الحبيب صالح يفعل ويفعل، ويضرب الطبول، ويسير خلاف آبائنا، فسكت السيد متأثرا.

وذات يوم دعا الحبيب صالحا إلى مولد السَّوَاحِلِيّة، فلم يحضر، وكان في اجتهاد الحبيب صالح أنْ يعتزِلَ الناسَ بتاتا، ما داموا يتقوّلونَ فيه. وكان بادئ ذِي بدْءِ يحضر كل حفل دُعِيَ إليه، وحضر الحبيب منصب مولد السَّوَاحِلِيّة، فقال له بعضُ الناس: انظرْ صاحبَك؛ لم يحضُرْ، ولا عُذْرَ له.

ومِن هنا بدأ السيدُ منصب يفكّر تجاه هذا الموقف ماذا يفعل؟، فقال في نفسِه: يحْسُنُ بي أنْ أذهبَ إليه، وأريه الحقّ، أو أعرِفَ كُنْهَ طريقته، حتى يحصل حُسْنَ التفاهم فيما بيننا، وينجلي الضّباب الذي عَكَّرَ على مجتمعنا.

مر السيد منصب بالحبيب صالح وهو جالس خارج بيته بدرجاني، فسلّمَ عليه، وجلس إليه، ومع السيد منصب بعض كراريس من الكتب المعتبرة، فأولا سأله: لماذا لم يحضر البارحة حفل مولد السَّوَاحِلِيّة؟، فأعطاه الحبيب صالح الأسبابَ الكافية التي عاقته عن الحضور، ثم بدأ السيدُ منصب يُحاجّه في طريقته التي يسير عليها، وكان الجدال على ضوء علمي، حتى وضح الحقّ للسّيد منصب، قال له الحبيب صالح: هل تعرف أنّ جدك الأعلى الشيخ أبا بكر بن سالم كان قطب الأقطاب في زمانه، وكان يسير على نفس الطريقة، فهل أخطأ هو، وأخطأ أَجِلّة أهل البيت الأعلام الذين ارتضوا هذه الطريقة؟!، ثمّ هل

أصابَ من عارضهم وناوأهم؟، فانظر يا سيدي منصب ما تقول، وما تُحاجِج به؟، فقال السيد منصب: نصَبوا لي شبكةَ الخِداع، ونجاني الله تعالى منها، ولله الحمد والمنة، وإني مِنَ الآن معك كُلّياً؛ أحارب من حاربك، وأسالم من سالمك، وإنك على الحقّ وعلى صِراط مستقيم.

ثم ذهبَ السيد منصب إلى الذين هيّجوه وأثاروا ثائرته حتى كان ما كان، وقال لهم: (أتّصل بطلْحٍ منضُود، وأستودعكم الله، أردتموني ونجّاني الله)، ومعنى أتصل بطلح منضود: أنه اختار الموز، وهو طعام أهل الجزيجة الأساسي.





دار يمتانغ

وبعد أن قويت العلاقة بين سيدي منصب والحبيب صالح، وتآخيا إخاءً أكيداً خالصا لله تعالى، وهبه السيد مَنْصِب حديقته المعروفة بـ: (دار يمتانغ)، على مَقرُبَةٍ من تل (بمانقا)؛ ليتصرف فيها كيفما شاء.

فهناك انقشع عن الحبيب صالح بعض من الضبابات التي اغتامت حيال سماء جهادِه المقدّس، وكان سيدي منصب معاوناً له، ووزيرا له ماديا وروحيا.

ثم ارْتَأى السيد أن يعتزلَ الناس جسميا إلى الحديقة التي وُهِبَت له، ويتخلى لربه، ويكونُ قد اعتزل الفتن التي تُصَبّ على شخصيته الطاهرة.

فانتقل إلى (دار يمتانغ)، فأسس فيها كوخاً مِن طين وخشب، وسعَف شجر النارجيل المرمول بالحبال، وكانت الجدران في الكوخ حصائر معلقة على الركائز القائمة بها، وسطح الكوخ التراب الرملي الأبيض النقي، وبجانب الكوخ مصلى صغير على شكل الكوخ، وببابه بلاص للوضوء.




الرياض

وبعد أنِ اتّخذ الحبيب صالح بيته ومصلاه على الوصف الذي ذكرنا، ازداد نشاطه في تدريس العلوم، وتهذيب الطلبة الوافدين إليه، فكان يُرَحّب بهم -كما أوصى بذلك رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم-، ويسَعُهم بما أوتي من مكارم الأخلاق وحسن الشمائل.

وسَمّى مكانَه الطاهر باسم: (الرياض)؛ تيمّنا برياض القطب علي الحبشي الذي بسيئون، فصار الرياض؛ رياض الجنة، ورياض التقوى، ورياض العلوم.

هـــذا الــــرياضُ وهـــذه أنهـــارُه * تجـــري فيشـــربُ عـــذْبَها عُمَّـــارُه
نالَ المقـــيمُ بـــه نهايـــةَ قَصْـــدِه * وكــــــذاك نالَ مُـــــــرادَهم زُوّارُه

ومع ذلك كلّه بدأ المعادون يسخرون منه، ويقولون له -على سبيل الاستهزاء-: (أنت سيد عصاري)؛ لأنه اندمج مع العصارين، ورضيَ أنْ يُنْسَبَ إليهم ولم يستنكف. وكانوا -أي الأعداء- يدعون ويقولون: (يا إلهنا يا قدير أنجِنا مِنَ الرياض).




بناؤه للمسجد

كان عَزْمُ الحبيب صالح أن يؤسس مسجدا كبيرا، يضم الطلبة الذين يفدون إليه، ويسد حاجة المتعلمين، وكان يفكر في ذلك ليل نهار.

وذات يوم دخل رجلٌ غريبٌ لا يُعْرَفُ مِن أينَ جاء، دخل إلى مصلى الحبيب وصلى ركعتين، فقال له الحبيب: أيُّ صلاةٍ كنت تُصلّيها؟. فقال: ما إنْ دنوتُ من مصلاكَ حتى رأيته مسجداً كبيرا، وما كانت صلاتي إلا تحيةً للمسجد، فتفاءل الحبيب بهذا، وقوي عزمه، وعلم أنّ ذلك الرجل مِن رجال الله المبعوثين؛ لتثبيت قدَمِه على هذا الخير.

ولما أخذ الحبيب صالح في بناء المسجد قيل له : (يا سيدي لِمَ لا تفْرِض على الناس أنْ يؤدّوا إليك رُوبيةً واحدة لكل فرد، وأنا أولهم)، فأجابه الحبيب: (إنّ الله سبحانه منعنا مِنَ السُّؤال لأنفسِنا، فكيفَ نسألُ له؟!).

ومِن لطف المقادير أنِ اختَصَمَ الشيخ عبد القادر بن عبد اللطيف مع زوجته حتى سبّبَ الخصامُ الخُلْعَ، فاختلعت الزوجة بمالٍ وفير، ثم نَدِمَا، فأبى كل مِنَ الزّوجين أنْ يأخُذَ المال، فقال لهما ناصِحٌ: أرى الأصلح أنْ تبعثا بالمال إلى الحبيب صالح؛ لأنه قائم في بناء المسجد، ولا مال له، وتكونا قد قدّمتما خيراً لأنفسكما. ففعلا ذلك فشكر الله تعالى سعْيَهما.

فشيّد الحبيب صالح المسجد تشييداً محكما، وبذل ما في وُسْعِه في تحقيق أمنيته، وكان الله معه في كُلّ ذلك، ومِن عجيب ما وقع أنّ أحمد بن سالم باعكابه حمل وحده طرَف الدعامة الحديدية التي تردف في الأخشاب المبسوطة تحت السقف، وحمل الطرف الثاني عصبة أولو قوّة وناءَ بهم.

وكانت ميضأة المسجد بجانب حُجْرة المسجد غربا، وقبالة الباب الغربي منها بئر عميقة، فقدر الله سبحانه أن يسقط ويتردى فيها رجل في ليلة المولد، ومات فيها، ثم بعد مدة تداعَتِ البئرُ ونسفت على رجل، ولم يوقفْ له على خبَر، فأمر الحبيب صالح أنْ تُطمسَ البئر رأساً، وتُحفرَ بئرٌ ثانية، وهي الموجودة إلى الآن.

ثم وسع المسجد وزيد فيه صفّة كاملة، وساحة موازية للميضأة الجديدة، ثم معبر نافذ يفصل المسجد عن الرباط الموجود جنوب المسجد.




تاريخ المسجد

تم بناء المسجد وافتتاحه ليلة المعراج سنة (١٣١٩هـ)، على نظام رائق، ولما كمل البناء أرَّخَه العارف بالله العلامة الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط نفعنا الله به:

كمُـــــلَ البنــــاءُ لمســـــجدٍ * يزهـــــو بنـــــورٍ لائِـــــحِ
حلّـــــتْ بـــــهِ وبأهْلِـــــه * نفحـــــاتُ قطْـــبٍ ناصِـــحِ
غـــوثِ الـــورى الحبشـــيّ علـــ * ـــــي المكرمـــاتِ المـــانِحِ
سَـــــهُلَتْ عمارتُـــــه بِـــــهِ * مِـــنْ سِـــرّ طَـــهَ الفـــاتِحِ
وبـــــهِ حمـــــاهُ اللهُ مِـــــنْ * عَـــينِ الحَسُـــود الكاشِـــحِ
نرجُـــو القَبُـــولَ لِمَـــنْ بـــنَى * ولِمـــن أتـــى بمصـــالِحِ
ولزائـــرٍ مِـــنْ كُـــلّ غَـــا * دٍ في حِمـــــاهُ ورائِـــــحِ
يا معْشَـــــرَ الصُّـــــلحاءِ دُو * نكُـــــمُ رِياضَ الـــــرَّابحِ
فِيهـــا ارْتَعُـــوا واصْـــغُوا إلى * القَـــولِ البَليـــغِ الشّـــارِحِ
فلقَـــدْ أجـــادَ مُؤرّخـــاً: * (حَسُـــنَ الـــرِّيَاضُ لِصَـــالِحِ)

ويُقال: إنّ البيتين في آخر القصيدة للعلامة الشيخ عبد الله باكثير، وهما: (فيها ارتعوا)، و(فلقد أجاد). والله أعلم.





تحسينات طارئة على المسجد

وبعد أن أتم الحبيب صالح بناء المسجد بنى بجانبه الجنوبي رباطا، وكان من قبل مَبنيّا كحائطٍ عادي؛ بالسعوف والرمال، ومفروشا بداخله ترابا ناصِعا، وبمدخله بلاص الماء. ثمّ تطوّر تدريجيا، حتى التحق بالمسجد والتصق به، وكانوا يقرؤون فيه ترتيب البردة، للعارف بالله شيخ بن إسماعيل العيدروس، صبيحة يوم الجمعة من كل أسبوع. ويقيمون السّماع فيه مرات غير ذوات العدد.

وأما الحبيب صالح فنَدُرَ منه أنْ أقام السّماعَ داخل المسجد، وأما ولده الحبيب أحمد فقد أقامَه داخل المسجد عِدّةَ مرّاتٍ، والحبيب صالح في بيته يسمعُ، ولم ينكِرْ ذلك؛ رِضاً منه.

(القبة الخضراء)

بنيت القبّة أوّلا بألواح الصنوبر سنين، ثم بنيت بأعواد من حديد، ثم لما رأوها تضعضع بسبب ثقل الحديد صنعت بشبكة كبيرة صلبة، ودامت سنين إلى أنْ شُيّدت ورُمّمت ترميماً محكما سنة (١٣٦١هـ).

إلا أنها كانت من الطين، وبُنِيَتْ قرْبَ أيام المولد، فتهدمت يوم الأربعاء التابع ليوم المولد الأكبر، وماتت نفس سقطت عليها، وجرح رجال. ثم قاموا بتشييد القبّة بالإسمنت، وسلّحوها وشكلوها تشكيلا رائعا على الشكل الموجود إلى الآن.



حفل المولد النبوي

كان الحبيب صالح يقيم حفل المولد النبوي في بادئ ذي بدء ليلة الثاني عشر من ربيع الأول، ويدعو الناس إليه، فضَجّت آمو، وقالوا: إن الحبيب صالح يعرف تمام المعرفة أن هذه الليلة فيها حفلات المولد لنا منذ القدم، وأبى إلا أن يشوش على حفلاتنا، ويقيم حفله في نفس الليلة. وبإشارة من القطب الحبشي -قدس اللهُ روحه- نقل الحبيبُ حفله إلى آخر جمعة من ربيع الأول، وقرر ذلك كل عام، واستمر عليه العمل إلى الآن.

ابتدأ حفل المولد في سنة (١٣١١هـ)، وكان الحبيب يستدعي كافة الناس للحضور، ويبعث الدعاة إلى بعض منهم، ويبعث الدعوة العامة إلى الحفل في المساجد، فكان يحضر منهم عدد عديد، وفي عام واحد ترك الاستدعاء بتاتا، فسأله بطانته: لِمَ لا تَسْتَدِعِ الناسَ كعادتك؟، فقال: (تركْتُ الدّعوةَ لرسولِ الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، يدعو إلى الحفل مَن شاء). فازداد الناس ذلك العام زيادة ملحوظة. وقدم رجال مِن نواحٍ شتّى خارج جزيرة آمو، واستمر الحفل.

وكان الحبيب صالح يقرأ مولد الديبعي مدة طويلة، حتى ألف مولانا الحبشي رضي الله عنه مولده (سمط الدرر) عام (١٣٢٧هـ)، وبعث نسخةً منه إلى الحبيب صالح، فجاء به جميل بن سالم باعكابه، واستبشر به الحبيب صالح، وأمر فأقيمت الولائم بالحلوى، وأقيمت الحفلات؛ احتفاء بسمط الدرر، ومن ذلك العام قرّر قراءته في كلّ ليلة جمعة، وفي آخر ليلة جمعة من ربيع الأول.



ترتيب حفل المولد وما يتبع الحفل

يَفِدُ الناسُ إلى الحفل إذا انتصف شهر ربيع الأول زرافات ووحدانا، وكلما دنا يوم الحفل ازداد الوفد، وإذا كان يوم الاثنين يبدأ الابتهاج والألعاب والمواكب. وتقام بميدان الرياض الواسع، وهي على أنواع، وربما تبدأ يوم الثلاثاء. وتكون بعد صلاة العصر إلى قبيل المغرب، وبعد صلاة العشاء إلى ثلث الليل، يوم الثلاثاء، والأربعاء، وعصر يوم الخميس التابع لليلة الجمعة.

وتترادف مواكب الزّفّ كل هذه الأيام إلى ضرائح الأولياء، وتُقام في الرباط حفلات السّماع، وتزدان الشوارع بالأعلام والسعوف، وتُبسَطُ موائد الهريسة صباح الثلاثاء والأربعاء، وطعام (بلاو) بعد الظهر للوافدين، أما المأدبة العامة فيوم الجمعة.

ويقرأ المولد على الترتيب الآتي:

يدخل الناس المسجد قبيل المغرب يوم الخميس، فيصلون المغرب جماعة، ثم يقرؤون ما تيسر من القرآن الكريم، ثم يرتبون ورد مولانا الحداد، مع ورد الإمام السكران، ثم يؤذن العشاء، ثم يقرؤوا من القرآن ما تيسر، ثم صلوات على الرسول صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، ثم: (يا رب صل على محمد أشرف بدر..)، ف: (إنا فتحنا لك)، ف: (الحمد لله القوي سلطانه)، وقبل إنا فتحنا لك: (السلام عليك زين الأنبياء)، ف: (ببسم الله مولانا)، مع المواخِذ: (صلاة الله، وإلهي يا كريم، وإلهي نسألك)، وبعد الحمد لله القوي سلطانه: (إلى ربي بسطت الكف)، ف: (تجلى الحق)، ف: (من جاءنا بالرسالة)، ف: (فأشهد أن لا إله إلا الله وحده)، ف: (صفت لي حميا خلي)، ف: (أما بعد فلما تعلقت)، ف(سألت الله

بارينا)، ف: (وقد آن للقلم)، ف: (يا رب السماء)، ف: (ومنذ علقت به)، ف(اشرحوا بالغناء)، ف: (فحين قرب أوان)، ف: (المقام)، و: (يا نبي سلام عليك)، ف: (مرحبا أهلا وسهلا)، ف: (مرحبا يا نون عيني)، ف: (يا رسول الله أهلا)، ثم بعد المقام: (يا ربنا بالمصطفى)، ثم الوعظ، وبعد الوعظ الدعاء، ثم الانصراف أول ثلث الليل.

وعصر يوم الجمعة: مواكب الزفوف إلى ضرائح السادة الأولياء، وتنتهي المواكب برجوعها إلى ساحة الرياض قبيل المغرب. وقد يكون في ليلة السبت بعض الابتهاج، ثم يجري كل على سبيله، وهو فرح مستبشر، وقد زاد محبة لرسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم ولآله، والله أعلم.



كلام القطب الحبيب علي الحبشي نفعنا الله به حول كتابه (سمط الدرر) وحول الحبيب صالح رضي الله عنه

قال رضي الله تعالى عنه في ١٢ القعدة سنة (١٣٢٨هـ) لما سأله السيد عمر بن عيدروس العيدروس: إيش هذه الأنفاس -يعني مولده سمط الدرر- في الزمان الأخير؟، هذه ما توجد فيما قبله. فقال رضي الله عنه: (بروز هذا المولد في هذا الزمن با يجبر ما فات المتأخرين من الأزمنة السابقة؛ لأن الذي فاتهم مما أنزل الله ما هو قليل، ولكن جاءَ هذا المولد جبَر ما فات، والنبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم فرح بالمولد جَم.

ولما وصل به حامد البار إلى المدينة المنورة وقرأه، رأى حامد البار النبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم في تلك السّاعة مِن ضريحِه، وقال له: «يا حيّا، ويا حيّا بالكتاب الذي أتيت به»).

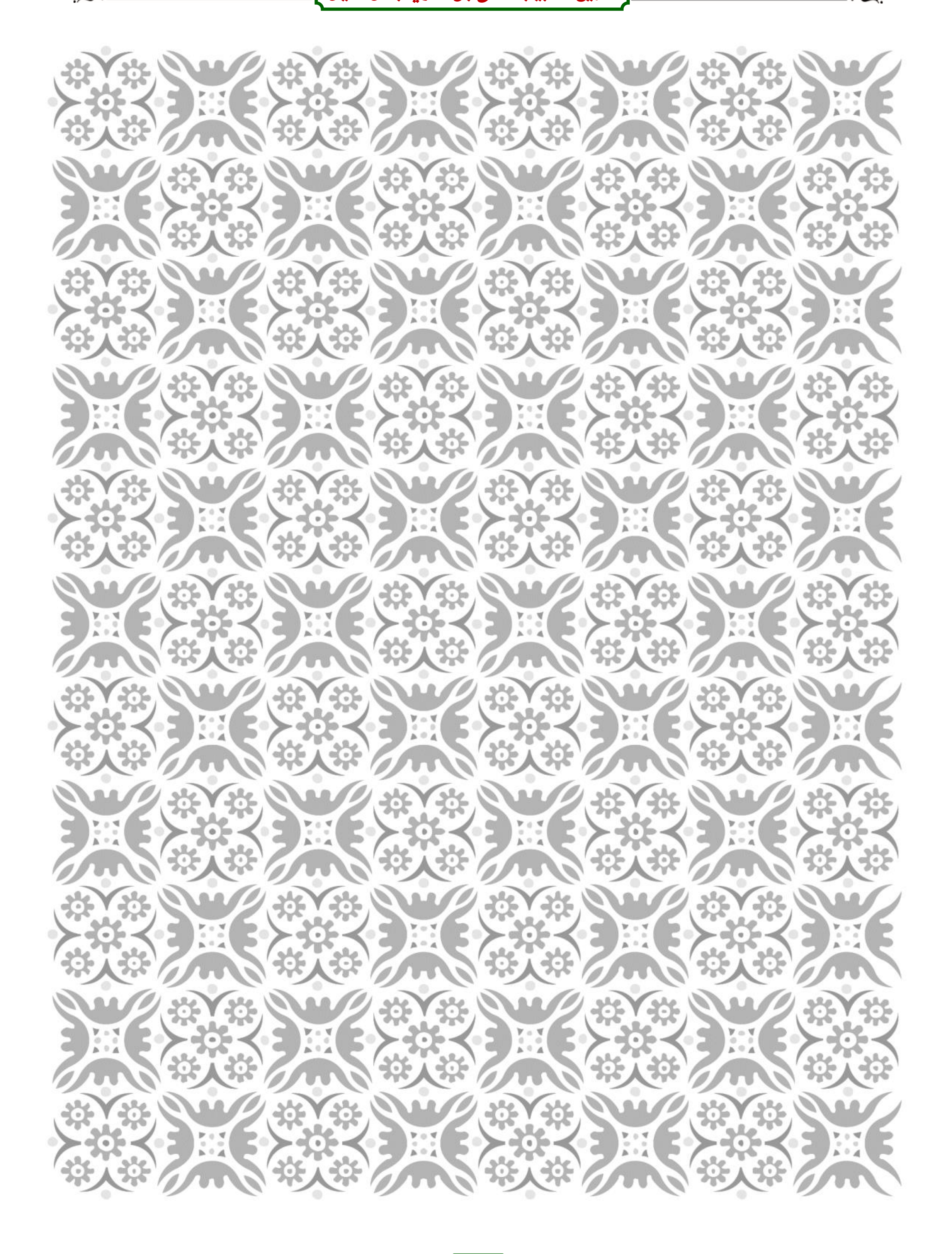
ثم قال رضي الله عنه: (المولد هذا انتشر في الجهات كلها، وحصل به نفع كبير. واليوم هذا بلغني كتاب من السواحل من السيد صالح بن علوي جمل الليل، وذكر فيه وصول المولد سمط الدرر، وأنه انتشر وانتفع به الناس، وقال فيه السيد صالح: نحن لا نزال نقرأه في كل ليلة جمعة، ويحضرون الجم الغفير، وتحصل كرامات خارقة بسبب قراءته، وفي هذه السنة أقمنا المولد في آخر ربيع أول في بلد لامو، وأتوا لحضوره خلق كثير وازدحم الناس بالبلد، وقرأنا مولدكم الجديد المسمى: سمط الدرر، وحصلت به انتفاعات كبيرة، فجزاكم الله عن الأمة المحمدية أفضل الجزاء ومتع بكم المسلمين).

ثم قال رضي الله عنه: (حسن الظن يبلغ صاحبه إلى مراتب عالية، هذا السيد صالح بن علوي جمل الليل -الذي ذكرته لكم- تعلقت همته بالفقير، وقويت رابطته بي، ولا لاقيته أبدا، وصار يعمل بكل ما بلغه عني، وفُتِحَ عليه بفتوح عظيمة، وأكرمه الله بأولاد نجباء، وصار يلهج بذكر الفقير في كل وقت، وأعطاه الله على نيته.

ولما سمع بي أنّي بنيتُ مسجداً وسميته: رياض الجنة. بادر وبنى مسجداً وسماه: الرياض. وبلغه عنّي أني أعمل مولداً كل ليلة جمعة، عمل هو مولداً كلّ ليلة جمعة، وبلغه من أني أعمل مولداً آخر جمعة في ربيع أوّل كلّ سنة، وأعمل وليمة عظيمة فيه، فعمل هو مولداً مثلي، وتظهر خوارق عادات يشاهدها أهل الجمع عياناً، وهذا كله بسبب محبتنا للنبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم وتعلقنا به. الله يقوّي رابطتنا بهذا الحبيب صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، ويحَنّن رُوحَه الشّريفَة علينا. اهـ بنَصّه.

ولما مُنِعَ مولانا الحبيب عليّ الحبشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِن إقامة حفْل المولد بسيئون، وسعى الوشاة إلى السلطان بأنّ المولد يثير الفسَاد في البلد، ويكثر العابثون فيه. فقال: إنّ المولد سوفَ يدوم وينتشر في أنحاء العالم. والآن يُقام حفل المولد في آمو، وفي جاوة، ويحضره الجمّ الغفير. فأمّا جاوة فرجال الشهادة الذين يحضرون الحفل أكثر من رجال الغيب، وأما آمو فرجال الغيب وأرباب المقامات الذين يحضرون الحفل أكثر من رجال الشهادة. ثم دَعَا للسّيد صالح وبشره، وجعله خليفةً له في السّواحل وما جاورها.





جواز عمل المولد شرعا

اعلم أنه تقرّر في الأصول أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب، وقال رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم: «**مَن أحْدَثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ منه فهوَ رَدٌّ**»، فالنبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم لم ينْهَ عَن أصْلِ الإحداث، ولكن إنّما نهى عن إحداث ما هو مخالفٌ لقواعدِ الشرع. قال الإمامُ الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (البدعة ما خالفَ نصّاً أو إجْماعاً أو قِياساً). وقال الإمام الغزاليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إنّ أفراد المباحات إذا اجتمعَتْ كان ذلك المجموعُ مباحاً).

فإذا علمْتَ ذلك، فاعلم أنّ الإمامَ السّيوطي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (إنّ أصْل عمَل المولد -الذي هوَ اجتماع الناس، وقراءة ما تيسّر مِنَ القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، وما وقع في مولدِه مِنَ الآيات، ثم يُمَدّ لهم سِماطاً يأكلونه، وينصرفون مِنْ غَير زِيادةٍ على ذلك- من البِدَع الحسَنةِ التي يُثابُ عليها صاحبُها؛ لما فيه مِن تعظيم قَدْرِ النبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، وإظهارِ الفرَح والاستبشار بمولدِه الشّريف.

ثم قال: (وأمّا ما يُعمل فيه، فينبغي أنْ يقتصر فيه على ما يُفْهِمُ الشّكْرَ لله تعالى، من نحو ما تقَدّم ذِكْرُه، من التلاوة، والإطعام، والصدقة، وإنشاد شيءٍ مِنَ المدائح النبوية، والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير، والعمل للآخرة. وأما ما يتبع ذلك من السّماع واللهو وغير ذلك فينبغي أنْ يقال: ما كان مِن ذلك مباحاً بحيث يتعيّن للسّرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به، ومهما كان حراماً أو مكروهاً، فيمنع، وكذا ما كان خلاف الأولى). اهـ كلام السيوطي.

وأمّا أدلةُ كلّ ذلك تفصيلاً؛ فإليك ما يلي ملخصا:

أولا: قراءة القرآن وإقراؤه على الناس

جاء في هذه آيات وأحاديث، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وصح أنّ رسولَ الله صَلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسَلّم استمع ذاتَ ليلة إلى قراءة ابن مسعود، ومعه أبو بكر وعمر، فوقفوا طويلا. وأنه قال لابن مسعود: «**اقرأ**»، فقال: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أُنْزِل؟، فقال: «**إني أُحِبّ أنْ أسمَعَه مِن غَيرِي**»، الحديث. وأنه استمعَ إلى قراءة أبي موسى، فقال: «**لقد أوتيَ مِزماراً مِنْ مَزاميرَ آلِ داود**». وهذه الأحاديث صحيحة.

ثانيا: مدْحُ رسول الله صَلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسَلّم

جاء فيه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وغيرها من الآيات.

وأما مَدْح الصحابة ومن بعدهم له فكثير جدا، منه أكثر ما في ديوان حسان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، في مدح الرسول صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، حتى قال فيه صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم: **«إنّ اللهَ تعالى يُؤيّدُ حسّاناً برُوحِ القُدُس ما نافحَ عَن رسُولِ الله»**، وقد مدَحَه صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم صحابةٌ عديدون، منهم عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير، وعائشة، وغيرهم كما هو معروف في كتب ذكر الصّحابة والسِّيَر. وأما مِن بعد الصحابة فقد اتّسَع المجال لهم، وحَدِّثْ عَن البَحر ولا حرَج.

ثالثا: الصّلاة على النبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وصحّ حديث: **«البخيلُ مَن ذُكِرْتُ عندَه فلم يُصَلّ عليّ»**، وحديث: **«مَن صلّى عليَّ واحدةً صلّى اللهُ عليه بها عشْراً»**، وقول كعبٍ للنبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم: (أجعلُ لك صلاتي كلّها) فقال له: **«إذن تُكْفَى همّك، ويُغْفَرُ ذنبُك»**. وهذه الأحاديث صحيحة، وفي الباب أحاديث غير هذه.

رابعا: خصوصُ الاستبشار بمولده صَلّى اللهُ علَيهِ وسَلّم

فمِنه صومُه يوم الاثنين، وقوله: **«ذلكَ يومٌ ولِدْتُ فيه»**، وقول العبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بحضَرةِ النبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم:

وأنـــتَ لمـــا ولِـــدْتَ أشـــرقَتِ الـــ * ـــأرْضُ وضـــاءَتْ بنُـــورِكَ الأفُـــقُ
فـــنحنُ في ذلـــكَ الضّـــياءِ وفي * النُّـــورِ وسُـــبلَ الرّشـــادِ نخْـــترَقُ

وقول حسان بن ثابت بعد وفاة النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، ونستدل على جواز المولد بعد وفاته صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم:

يَا بِكْــرَ آمنَــةَ المبــارَك بكرهــا * ولدتــه محصنــةٌ بسَــعْد الأســعَدِ

نــورا تنقــل مــن خلاصــة هاشــم * مَــن يُهْــدَ للنّــورِ المبــاركِ يهتــدي

وخرج الحافظ ابن حجر أصلا لعمل المولد من الصحيحين في قصّة صوم يهود المدينة يوم عاشورا، وقولهم: (ذلك يوم نجى اللهُ فيه موسى من فرعون)، وقول النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم: «**نحنُ أحقّ بموسى منكم**»، فصامه صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم وأمرَ بصيامه.

وذكر الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي قصّة أبي لهب، ثم قال:

إذا كــان هــذا كــافرا جــاء ذَمُّــه * وتبّــت يــداه في الجحــيم مخلّــدا

أتــى أنــه في يــوم الاثنــين دائمــا * يخفّــف عنــه للسّــرور بأحمــدا

فما الظّنّ بالعْبَد الذي طول عمرُه * بأحمَــدَ مســروراً ومــاتَ مُوحّــدا

وفي هذه كفاية لمنِ استرشد، والله ولي الهداية.

خامسا: الشعر في المسجد

صحّ أنّ عمر بن الخطاب مر بحسّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه، فقال: قد كنت أنشد وفيه مَن هو خير منك. وكان رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم يضع لحسّان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما، يفاخر عن رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، وكان أصحاب رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم يتناشدون الأشعار وهو يبتسم، وقال الشريد: أنشدت النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم مائةَ قافية من قول أُمَيّة بن أبي الصّلْت كل ذلك يقول: **«هيه هيه»**.

وثبت استماع النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم إلى كعب بن زهير في قصيدته بانت سعاد، وفيها ذكر صفات المرأة والناقة، وذلك داخل المسجد، وما ثبت في هذا الباب كثير جدا. قال الإمام الشوكاني (أما مجرّد الغِناء فالاتفاق على حِلّه، وإجماع الصحابة والتابعين عليه).

سادسا: الاجتماع للخير

فقد جاء عن رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم أنه قال: **«إنّ لله ملائكةً يطوفون في الطرُق؛ يلتمسون أهل الذكر»**، وفي آخر الحديث: **«هم الجلساء لا يشقى جليسهم»**، وخرج صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم على حلقة من أصحابه فقال: **«ما أجلسكم؟»**، قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده لما هدانا للإسلام، ومَنَّ علينا به. وفي آخر الحديث: قال صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم: **«أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة»**، وقال صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ

وسَلّم: «**ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة**»، والأحاديث في الباب أكثر مِن أنْ تُحصر. وما ذكرناه كفاية للمستدلّ على الاجتماع للخير. وأحاديث الباب كلّها صحيحة.

سابعا: شهود النساء الخير

قال الله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وجاء في حديث عائشة: (كن نساء المؤمنات يشهدن صلاة الفجر وهُنّ مُتلفّعات بمروطهن، حتى ينقلبن إلى أهلهن لا يعرفهن أحد من الغلس)، وقال رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم: «**تخرج العواتق وذوات الخدور والحيض، وليشهدن الخير ودعوة المؤمنين**»، وجاء في حديث عائشة: (رأيت النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد)، وكل هذه الأحاديث في الصحيح.

ثامنا: ضرب الدفوف في المسجد وخارجه

قال الإمام الغزالي في الإحياء: (والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف، واللعب بالدّرَق والحِراب، والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج في أوقات السرور كلها، قياسا على يوم العيد؛ فإنه وقت سرور، وفي معناه يوم العرس، والوليمة، والعقيقة، والختان، ويوم القدوم من السفر، وسائر أسباب الفرح، وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا). وجاء في حديث الربيع: (دخل عليّ

النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم غداة بُنِيَ عليَّ, فجلس على فراشي كمجلسك مني وجويريات يضربن بالدف....) الحديث.

وذكر أبو داود في سننه: (أن امرأة قالت: يا رسول الله، إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف، فقال صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم: «**أوفي بنذرك**»). وقد قال صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم: «**لا نذر في معصية**»، وقال: «**لا نذر إلا فيما ابتغي به وجه الله**».

فعُلِمَ أنّ ضرْبَ الدُّفّ ليس بمعصية، وأنه مما يبتغى به وجه الله؛ إذا حسنت النية، وكل ما ابتغي به وجه الله يجوز فعله في المسجد وخارجه. ولو كان ضرب الدف لا فائدة فيه لنهى صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم عنه، كما نهى بعض أصحابه عن أشياء لا تسير وفق الشرع، فقال: «**مُرْهُ فليستظل**» وقال: «**مُرْهُ فليتكلم**»، وقال: «**إنّ الله عَن تعذيب هذا لغنِيٌّ**»، وقال: «**أرجعن مأزورات غير مأجورات..**». وسكوت النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم في أمْرٍ علامَةُ جوازه. ويؤيّد جواز ضرب الدف في المسجد حديث : «**أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف**»، قال الرملي: وإسناده حسَن.

فإذا كان النكاح يعلن في المساجد، ويضرب عليه بالدفوف، فإعلان استبشارنا بمولد النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم في المساجد، وضرب الدفوف عليه من باب أولى. هذا وقد ثبت لعِبُ الحبشَة في المسجد، وقوله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم لعمر: «**دعهم**»، وإذا كانت الضمائر للذكور في: «**أعلنوا هذا النكاح**»، عُلِمَ أنّ المخاطبين بكل ذلك همُ الذكور، واندفع النزاع.

تاسعا: القيام أثناء المولد

وذلك لاستحضاره صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم. فقد ورد أن الصحابة قاموا لرسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم. وقد قام صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم لعكرمة بن أبي جهل، وكان يقوم لعدي بن حاتم كلما دخل عليه، كما جاء ذلك في خبرين، وهما وإن كانا ضعيفين يعمل بهما في الفضائل. وقد قام صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم لبنته فاطمة، وروي أنّ حسان بن ثابت قال:

قِيامي للعزيز عليَّ فرْضٌ * وترك الفرض ما هو مستقيمُ
عجبتُ لمن له عقل وفهْمٌ * يرى هذا الجمالَ ولا يقومُ

ولما أنشد مُنْشِدٌ قولَ الإمام الصرصري -وكان من بين الحاضرين عنده الإمام السبكي-:

قليل لمدح المصطفى الخطّ بالذّهب * على ورقٍ من خَطّ أحسَن مَن كتَبْ
وأنْ تنهضَ الأشرافُ عند سماعِه * قياماً صفوفاً أو جُثِيّاً على الرُّكَبْ

فقام الإمامُ السبكي، وقام الحاضرون، وحصل أنس عظيم لم يُرَ مثله.

عاشرا: الرقص

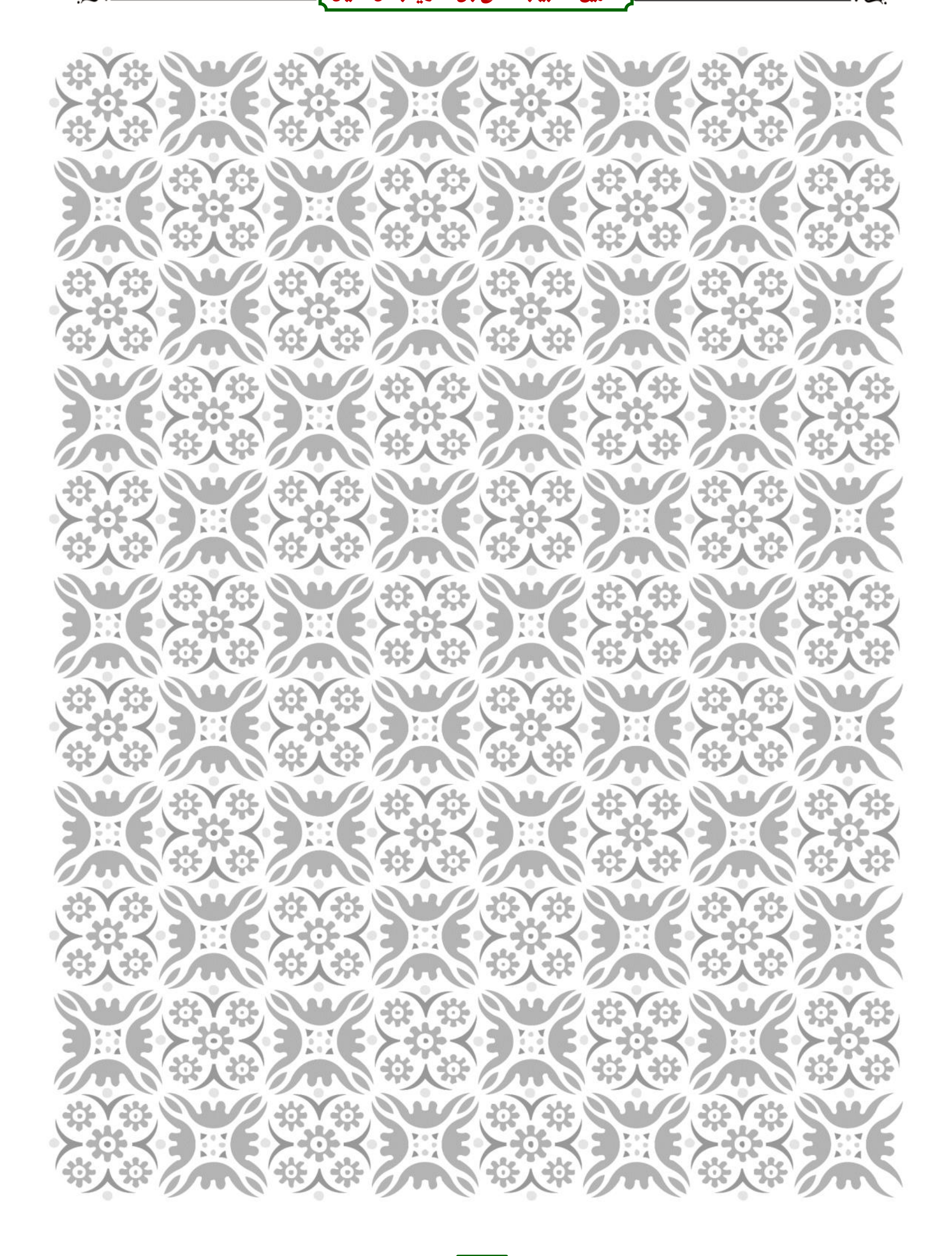
ذكر الحافظ ابن رجب أنّ علياً وصَفَ يوماً الصحابة، فقال: كانوا إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في اليوم الشديد الريح. ووردَ أنّ الصحابة حجَلوا في سرورٍ أصابهم. ورُوي أنّ الحبشَة كانوا يلعبون ويزفنون، والزفن: هو الرقص.

حادي عشر: قصد مكان معلوم ولو لنذر

قال رجل للنبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم: إني نذرت أنْ أنحرَ ببوانة، قال: «**لصَنم**»، قال: لا، قال: «**لعيدٍ مِنْ أعيادِ الجاهلية؟**»، قال: لا، قال: «**فأوفِ بنذْرِك**»، فعُلِمَ صحّة النذر بالذبح، في أيّ مكان، والذهاب إليه لأجْل النذر، فكيف إذا كان لأجل السرور بالنبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم. وثبتَ أنه صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم عقّ عن نفسه بعد الهجرة؛ بيانا لجواز الذبح لأجْل مولده.

وبعد فهذا ما يمكن إجراؤه في عمل المولد في الرّياض وفروعه. وقد رأينا جواز ذلك كلّه بالأحاديث الثابتة. وما جازَ انفرادا عُلِمَ جوازه مجموعاً، والله أعلم.





وقائع تتعلق بحفل المولد

آذى الحبيب صالحاً شخصان، وصنعا الزّفاف في الليلة التي يقيم الحبيب صالح حفل المولد الأكبر، وطلبا من الحبيب أنْ يحضُرَ، فأبى وأبى كُلُّ مَن كان معه. فأتيا بآلات الملاهي والمسكرات، فشاء اللهُ الحكيم أنْ يشِبَّ على بلدة آمو الحريق، فتوقّف الزفافُ واستمَرّ المولد كعادته. وقال الحبيبُ لا تخافوا إن الله يكلؤُنا ويحفظنا، فأحرقتِ النارُ بيوتاتٍ إلا بيت الحبيب ومَن تعلّق به.

وكان مولانا القطب الحبشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يدرّس تلك الليلة، وفجأة قام من الدرس، ودخل الحجرة، وأغلق عليه الباب، وغاب مُدّة، ثم رجع وعلى ثيابه أثرُ الرّماد، وبعضُ أثرِ الشّرارات، فقال: ذهبتُ إلى آمو لإطفاءِ الحريق، ومعاونة السيد صالح، وأحرقت النار بيت فلان وفلان، ومرت بجهة كذا إلى كذا، وكان في الدرس رجل من أهل آمو، فكتب ما سمع وجاء إلى آمو، وكان في نفسِه بعض شيءٍ، فحقّق الخبر، وانجلى عن قلبه الشّك، وصلحت سريرته، والله أعلم.

أضافَ الحبيب صالح الوافدين، فأكلوا وفرغ الطعام، وبعد مُدّة قدِمَتْ سفينة وفيها أناس من أرض الصومال جاؤوا لأجل المولد، ولا نزيل لهم إلا الحبيب صالح، ففزع الطلبة وجاؤوا إلى الحبيب أحمد وأخبروه، فذهب الحبيب أحمد إلى والده الحبيب صالح. فقال الوالد: اذهب إلى حجرة كذا تجد فيها صحونا، فخذ ما يكفيهم. فأكلوا وانتعشوا وبقيت البقية، ولا يُعْلَمُ مِن أين جاء ذلك الطعام الكثير.

وكان الحبيب صالح في حفل المولد يُرتّبُ للحكام الإنكليز كراسي خارج المسجد، ويدعوهم إليه، فيحضرون ويتأثرون بشعائر الإسلام وأخُوّة المسلمين.

الشريف عبد الله البيض

هو السيد الأمجد الشريف عبد الله بن سعيد بن سالم بن حسين بن سالم بن حسين بن عوض، وينتهي نسبه إلى الإمام العلامة أحمد البيض، صاحب الشحر المتوفى سنة (٩٤٥هـ).

ولد بمالندي مع توأمه عائشة سنة (١٢٧٨هـ)، وأمهما سلمى بنت عبد الله بن حيدر، ماتت بجمع، وتربى عند أخواله بمالندي، ثم سافر إلى حضرموت، فتعلم عند العلامة المحقق الحبيب عبد الرحمن المشهور صاحب كتاب بغية المسترشدين، واستفاد هناك من أكابر علماء حضرموت، واتصل بالقطب الحبيب علي الحبشي، ولما أزْمَعَ العود ألزمه القطب الحبشي أن يحضر حفل المولد عند الحبيب صالح بآمو. وهناك بدأ اتصال الشريف عبد الله بالحبيب صالح.

وكان الشريف يتردد إلى آمو كثيرا، وينزل عند الشعاميط، فلما جاء هذه المرة طلب من مضيفه قبل كلّ شيء أن يصحبه إلى الحبيب صالح، فذهبا إليه، وبعد محادثة طويلة، والتساؤل العريض والمؤانسة، تآلفا وتعاقدا الأخوّة في الله. فطلب الحبيب من الشريف أنْ يشرفه بالحضور في مولده السّنوي. ثم حسّنَ له أن يبقى عنده إلى أيام الحفل، وكان وصول الشريف إلى آمو في صفر. فقال له الشريف: إني قد دُعِيتُ إلى حفلك من قبل، دعاني إليه القطب الحبشي، وأنت الآن أكدت الدعوة. ووجب عليّ الحضور، وسوف أعود إليك فور وصولي إلى وطني مع بِطانتي. وفعلا قَدِمَ إلى حفل المولد قبل الموعد، وهو الذي كان يتولّى الحفل بأمر الحبيب صالح. وكان سبب رجعة الحضارم الذين جفوا الحبيب صالح إلى مؤازرته والقيام معه.

أوليات الشريف عبد الله

هو أول وافد من الخارج إلى حفل المولد، وهو أول من حرك الحشود في طريقه للحضور إلى الحفل.

كانت تكْرِمَة المولد شيئا طفيفا من قهوة الدار صيني بالسكر، ومن كِسَر الخُبز مع شيءٍ منَ التمر أو اللحم، وكانت توزّع عقب الحفل، ولما أن تردّى رجل في البئر القديمة للمسجد بسبب تزاحم الناس، وانتهابهم للتكرمة، توقّف الحبيب صالح عن إجراء التكْرِمَة المعهودة.

وفي ليلةٍ من ليالي حفل المولد قام الشريف عبد الله -كعادته- واعظا، وبعد الوعظ قال: غداً أطلبكم أن تحضروا هنا للتبرّك بالمأدُبة الجفلى، فاحضروا كلكم، الوافدين والمواطنين، والشيعة يأتون بعد الخامسة، والإباضيّون قبيل السادسة والوافدون بعد السادسة، والمواطنون بعد صلاة الجمعة، فأنكر الحبيب صالح ذلك، وقام مغضبا، وقال له: يا شريف تريد أن تفسد مولدي. فذهب إليه الشريف، وقال له: أمّا المولد فللنبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، وأنت صاحب المقام فقط، وليس بمولدك، وأمّا التكْرِمَة فأنا ضامن أنْ أقوم بها مدّة تسنّى لي الفرصة للحضور، وما دام لي سعة في إجرائها، ولا تثقل عليكم التكرمة إنْ شاء الله، وسيرضى بها النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، فانشرح قلب الحبيب صالح. وولّى الشريفُ إقامةَ التكْرِمَة نُزلاءَه الشعاميط. فالشريف عبد الله أوّل من أقام التكرمة يوم الجمعة لأجل المولد.

وهو أوّل مَن قرأ التوسعة للميت، وهي قراءة ما تيسر من القرآن، ثم الختم بالإخلاص، والمعوذتين، ثم سورة الفاتحة، وأول البقرة إلى: ﴿ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

[البقرة: ٥]، ثم: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ [البقرة: ١٦٣] الآية، ثم آية الكرسي، ثم: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة: ٢٨٤] إلى آخر السورة، ثم: (لا إله إلا الله) (٢٥ أو ٢٠ أو ١٥ مرة)، ويقول الموسّي قبل التهليل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] (بالعدد المذكور)، وفي آخر التهليل يقول: (محمد رسول الله) واحدة.

أما التهليل فمع الحاضرين بأجمعهم، ثم: (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) (٢٥ أو ١٥ أو ١٠)، ثم: (أستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات) (١٥ أو ١٢ أو ١٠)، ثم: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) (أربع مرات)، ثم (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)، (لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله)، ثم: (لا إله إلا الله الملك الحق المبين..) إلخ (ثلاث مرات)، ثم: (اللّهُمَّ صلّ على حبيبك سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلم) (ثلاث مرات).

ثم يقول الموسّي من: (سبحان الله، والحمد لله..) إلى هناك مرَّةً مرّة، ويردّدها الحاضرين عقبه، حتى يتمّ العدد، ثم يأتي بدعاء الختم، وهو: (اللّهُمَّ أثبنا..) إلخ.

فهذه هيَ التوسِعة، وأوّل مَن وُسِّعَ له بعد وفاته مقداد بن عبد الله، وتكون التوسعة ثلاثة أيام كالتعزية، وغالبا تكون بعد صلاة المغرب.





عندما يكون الشريف بآمو

عندما تأتي البشائر بقدوم الشريف عبد الله يخرج الرياض بحذافيره؛ لاستقبال الضيف بالدفوف والأناشيد، وينتظرونه في طريق آمو متندوني. فإذا طلع عليهم قاموا له بأجمعهم، وحيوه بحفاوة بالغة، ويكون قدومه غالبا قبل المولد بأسبوع أو أكثر، ويسير موكب الاستقبال الحاشد عبر الطرُق التي تنفذ إلى الرياض.



الاثنا عشر مويتو

ويقال لهم أيضا: الأربعة عشر مويتو. وهي طائفة تتكون من اثني عشر رجلا، أو أربعة عشر رجلا هدّامين، وتعاقدوا بينهم أن يفسدوا في الأرض ولا يصلحون.

وقد أراد هؤلاء اغتيال الحبيب صالح، وترصدوا له سحرا، وفجأة رأوا الحيّات العظيمة تسعى إليهم أمام بيت الحبيب، فذعروا وهربوا، وافتضحوا، ولم تكنِ الحيّات إلا الأخشاب التي كانت بباب الدار، فانقلبت حيّات كرامة لهذا الحبيب.

ثم أرادوا عرقلة حفل المولد، فاشتروا خمرا عتيقاً يوم الخميس التابع لليلة الحفل، وخبئوها بتلّ (بمانقا)، ثم أتوا بعد المغرب ليغتبقوها، فما أن ذاقوها حتى وجدوها عصيراً حلوا. ولكنّهم قالوا: ما دُمنا قد أزْمعنا الإفساد فلنَسِرْ على خُطّتنا. وجاءوا الحفل وتصدّروا المجلس، فازْدان بهم الحَفْل، وتواجدوا بأدَبٍ واحترام، ثم تعَجّبوا لِمَا جرى لهم.





الشيخ عبد الله باكثير

هو العلامة العارف بالله الشيخ الفتاح عبد الله بن محمد بن سالم بن أحمد بن علي بن عبد الله، وينتهي نسبه إلى القاضي الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن قاضي الذي تولى قضاء تريم زمن مولانا الإمام الحداد.

ولد بآمو سنة (١٢٧٦هـ)، وأمه (موان مسقط) بنت صديق البرواني، توفي والده والشيخ عبد الله صغير، وظهر في الشيخ أمارات التقوى والنجابة وهو صبي. فكان لا يستهويه اللعب ولا اللهو، فصَدّ رجليه تحاشياً عن مجارية السفن الصغار مع أقرانه.

ولما كان في سن التمييز كان حاضر القلب مع مولاه، ذهب يوما مع بعض أقرانه إلى حديقة رجل من أقربائه، وقطفوا ما قطفوا، وحين أرادوا الخروج لقيهم صاحب الحديقة، فقال لهم: رأيتكم فسوف تعلمون، لأشتكينّكم إلى الله. وهنالك ارتعدت فرائص الشيخ، وأخذته الحمى النافض، وسقط على الأرض، فاحتملوه إلى بيت أمه وهو في بكاء ووَلْوَلة، فسألتهم أمه ماذا جرى لولدي؟، فأخبروها فذهبت الوالدة الحنون إلى استرضاء صاحب الحديقة حتّى رَضِيَ.

تعلم الشيخ عبد الله بآمو عند كبار علمائها أمثال العلامة السيد منصب الحسيني، والعلامة الشيخ أبي بكر بن محمد المعاوي، والحبيب صالح بن علوي جمل الليل.

ثم رحل إلى الحجاز؛ لأخذ العلوم، وأبرز مشايخه بها: العلامة مفتي مكة السيد حسين بن محمد الحبشي، والعلامة الشيخ محمد بن سعيد بابُصَيل.

ثم سار إلى حضرموت، وتعلم بها عند العلامة السيد عبد الرحمن المشهور، والقطب الحبيب علي الحبشي، والقطب الحبيب أحمد بن حسن العطاس.

ولما كان بمكة المكرمة يتعلم أخذته حُمّى شديدة، فقال شيوخه: نخشى أن يموت هذا الولد من هذه الحُمّى. فاصطلحوا أن يقتسموا بينهم تلك الحُمّى، فشُفِيَ الشيخ بإذن الله تعالى.

وكان أخْوال الشيخ جُلّهم على مذهب الإباضية، فتَسَنّنوا بسببه، وكانوا أكثر من ثمانين.

سبب اتصاله بأهل البيت

زار الشيخ أويس بن محمد البراوي خليفة الطريقة القادرية العام وناشرها في الصومال والسواحل، قادما من جوبا العليا، ومتجولا في السواحل، ومن بينها آمو، وكان لهذا الشيخ كرامات ظاهرة وخوارق عجيبة، فأعجب به الشيخ عبد الله باكثير، واتصل به، ثم سأله: بمَ حصل لك هذه المقامة؟، قال: بقوّة اتّصالي بأهْل البيت.

ثم قال له: وإذا أردْتَ أيّ مقام من مقامات الولاية والقُرْب فعليك بهم، واختر الكامل منهم، واستمسك به كُلّيّاً، وارتضِه شيخاً لك، وكن بين يديه كميّتٍ بين يدي غاسِله.

وعى الشيخ عبد الله وصية الشيخ أويس، ثم فكّرَ فتمّ اختيار الحبيب صالح شيخاً له ومرشدا. فذهب إليه وشرَح له حاله، فقال له الحبيب صالح: (إنما أنا معين لك، وسوف تعرف شيخك فيما بعد)، فتتلمذ الشيخ عبد الله عند الحبيب صالح، زمانا طويلا.

هذا وقد كان العارف بالله الإمام العلامة الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط -صاحب زنجبار- يتردد إلى آمو لبعض شأنه.

وذات يوم قدِمَ إلى آمو، فسمع الخبر الحبيب صالح، وكان الحبيب أحمد -عندما يكون في آمو- نزيل عمر بن عوض باشعبان، فقال الحبيب صالح للشيخ عبد الله: تعال بنا نزور هذا الضيف العظيم، فأخذ الحبيب يعدد مناقب الحبيب أحمد، وكان الشيخ عبد الله لا يعتقد في أحد من الأولياء مثل ما يعتقد في

الحبيب صالح. سمع الشيخ كل ما قال له شيخه الحبيب صالح في الحبيب أحمد، ولم يزد إلا أن اعتقد أن الحبيب أحمد وليٌّ من الأولياء، وعالم من العلماء.

دخل الحبيب صالح والشيخ عبد الله منزل الحبيب أحمد، وسلّما عليه، فبدأ الحبيب أحمد يكاشف الشيخ، ويريه أسراراً وعجائبَ ومكاشفات، فتأثر الشيخ به تأثرا بليغا لم يسبق له مثيل، فلما خرجا كان كل كلام الشيخ حول الحبيب أحمد، حتى وصلا الرياض، فقال له الحبيب صالح: الآن عرفْتَ شيخَ فتوحك وأدرَكْتَ ضالّتك.





هجرة الشيخ عبد الله إلى زنجبار

في سنة (١٣٠٩هـ) بينما الشيخ عبد الله جالس بباب داره، إذ مرّت به امرأة كأنها شيطانة، دون ما حياء ولا خجل، فقال الشيخ: (سبحان الله، أبلغ الأمر بآمو هذا الحد؟)، فاستخار ربّه ماذا يفعل؟، فبدا له أن يهاجر آمو إلى زنجبار، فقيل له: بزنجبار مثل ما بآمو، فقال: (إن زنجبار مثل آمو، ولكن واجبي بآمو أكبر من واجبي بزنجبار) هاجر الشيخ عبد الله إلى زنجبار واستوطنها.



الشيخ عبد الله والحبيب صالح

كان لا يمضي للشيخ عبد الله فترة إلا ويزور آمو، وكان إذا قدم إلى آمو لا ينزل عند ذويه، بل ينزل عند الحبيب صالح، ويحصل لهما أنس عظيم.

جاء الشيخ عبد الله مرة آمو والحبيب في ضيق عيش، وقلة ذات اليد، لا طعام له إلا الماء، فنزل الشيخ عنده، فقال له الحبيب: (يا باكثير أنا الآن كما ترى، فحسن منك أن تنزل هذه المرة عند أقاربك)، فقال الشيخ عبد الله: (لا ولا يمكن ذلك مني أبدا، أنا ضيفك على كل حال).

بقي الشيخ والحبيب في جوع وعُدْم من يوم السبت إلى يوم الخميس، لا يجدان ذواقا، وفي ليلة الجمعة قال الحبيب صالح: (هذا آخر يوم لنا، إمّا أن نُرْزَق وإمّا أن نموت، وما بقِيَ إلّا أن تلتحقَ بأهلك وتذرني وحْدي)، فقال الشيخ عبد الله: (لن أغير موقفي يا سيدي أبدا).

وفي صباح يوم الجمعة جاء رجل، وطلب منهما الحضور في حفل المولد الذي يقيمه في بيته، فأبى السيد، ثم رضي الحضور مع ضيفه، وفي أثناء المولد شبّت نار على نفس البيت الذي يقرأ المولد، وانكفأ القِدْر ففاتهم التكْريم.

ورجعا إلى الرياض فوجدا مائدةً جاءت إليهما، فأكلا وحمدا الله، وفي نفس اليوم بدأت الأرزاق تترادف للسيد ترادفا عظيما، حتى غمر الحبيب من نِعَمِ الله ما لا يُحصى.



جهاد الحبيب صالح

كان الناس في آمو لا يختنون أولادهم حتى يكبروا؛ انتظاراً للحصول على الذبيحة، ولهم مع ذلك عادات سيئة، فقام الحبيب صالح بجهاد عظيم، وتكلم مع مبوشيز (كبير الشرطة وهو قمري الأصل)، أن يبلغ ذلك إلى عميل الإنكليز بآمو راجيس. فأبلغه، فأعلن راجيس أن مَن رُئِيَ أقلَفَ بعد ثلاثةِ أيام يُخْتَنُ إجبارا، وقامت الشرطة بالعمل، فلما رأى الناس الجد بدأوا يتدفّقونَ إلى الخاتنين الذين تحت إشراف الحكومة، فكانوا يختنونهم مجّانا، وهو أوّل دخول (ليلام: المجان أو الرخيص) بآمو في الختان.

وقع اختلاف بين أهالي آمو حتى انقسموا قسمين، وأقاموا جمعة ثانية في البلدة للصناديد وأتباعهم، فتكدر الحبيب لذلك، وفكر ماذا يعمل إزاء هذه المشكلة؟، ارتأى أن يقيم جمعةً ثالثةً، سيرا على مبدأ: (بعض الشّرِّ لا يُنْفَى إلا بالشّرِّ).

فكان الحبيب يراقب زوالَ الشمس بخيطين واحد فوق آخر، فما أنْ زالت الشمس حتى خطَب واحدٌ مِن رجال الحبيب، وصلوا الجمعة، وخرجوا من المسجد (وكان مسجد الروضة)، وأهل الجمعة الأصلية، والجمعة الطارئة بعد لم يصلّوا. فقالوا: ما هذا؟، ثم جاءوا إلى الحبيب، وقالوا: ما هدفك في إثارة الفتنة؟، فقال الحبيب: (إما أن تُصَلّى جمعةٌ واحدة، أو يُصَلّي كل أهل مسجد جمعتهم)، فعرفوا هدَفَ الحبيب، واتفقوا على إعادة جمعة واحدة.

وسبب مراقبة زوال الشمس بالخيطين أنّ فنّ الميقات لم يكنْ موجودا بآمو، وأوّل مَن جاء به الشيخ عبد الله باكثير من جاوة.



الحبيب يؤدب السارق

سُرِقَ للحبيب ليلة حفل المولد الكبير مبلغ من المال، وكان حضر ذلك الحفل حاكم الساحل الإنكليزي، فسمع بأنه سرق للحبيب، ثم بلغه أنّ الحبيب قبضَ على السارق، فأراد الحاكم أن يعرِفَ القضيّة، ويعرف السارق والقابض عليه، فأرسل إليه، فأجابه: (أمّا السارق فقد أدبناه، وأما القابض عليه فقد منحناه رتبة التمييز)، وتأديب السّارق كان بإعطائه قسطا وافرا من المال.



كراهيته للإفرنج الكفار

مرّ على السيد حاكم إنكليزي، فقام له كل مَن كان بالمجلس، وبقي الحبيب ساكناً، لم يتحرك، فسُئل: لماذا لم تقم؟، فقال الحبيب: إنه ليس من المروءة أن يحترم رجلٌ رجلاً غريباً لا رابطة بينهما، ولم يقصده أساساً.

وكان يوصي مَن تعلّق به إذا وجد مهْرباً مِنْ أن ينجوَ مِنَ الضرائب والعشُور، أو ما أشبههما، فليفعل، ويستاء إذا سمع أن أحدا أعطى الحكومة الإنكليزية مبلغاً ولو ضئيلا.

ولما فسّر بيت قصيدة القطب الحبشي رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: (والرزق مقسوم بين الخلق حتى الحنش)، قال: أتدرون ما الحَنَش هنا؟، قالوا: ما هو؟، قال: الإنكليز.



رجل يجابه الحبيب

اخْتيرَ الحبيب صالح لأن يكون إماما في مسجد شيخ البلاد، واختار هو الشيخ عبد الله إمام بن خطيب أن يكون إماما، فأمَّ مدّةً، ثم مات الشيخ عبد الله إمام، فخلف عليه الحبيب صالح عربياً عارفاً بالقرآن، فلم يرْضَه بعض الناس. فمر بالحبيب عبد الرحمن كبيا، فسَبّ هذا الحبيب سبّا ذريعاً، وكان يشير إليه بالأصبع، فقال له رجل مُنصف: أتفعل هذا بالحبيب صالح؟، قال: نعم، ولا أبالي. فقال له الحبيب: دعْه. فلم يمضِ له إلا ليلة حتى أُلْجِمَ لسانه، حتى باتَ أخْرَسَ محَدّقاً بعينيه، لا يدري بما كان وبما يكون، وتوفي بعد ثلاثة أيام.

الحبيب يكنس المسجد وبيته

كان الحبيب صالح يَقُمُّ دارَه، وساحة الرياض، والمسجد بيده، ويجمع الحصى ويرتبها ترتيبا منسقا، الصغار فالأمثل، فالكبار، ويرش على طين الدار الماء، ويرمم المنزل، وكان يشغل لذلك وقتاً غيرَ قصير.

ودخل على الحبيب يوما أحد الولاة، ورآه يكنس، فقال: ناولني المكنسة أساعدك، قال: (لا تقدر على ذلك؛ لأني أنظّف قلوب الناس).

ورأى قندوس -يوماً- الحبيب ينظف المسْتراح، فقال: أليسَ هذا بإسْراف، قال الحبيب: (لا، إنّما أغسِلُ قلوبَ الناس).





زهد الحبيب صالح

جاءت إلى الحبيب صالح أموال جمّة، فقال لبعض الطلبة: خذ هذه الأموال واقسمها على مكربوي (الجنود)، ولا تبق لها شيئا. وكان بذلك الرجل المأمور بقسم المال حاجة، فود لو بدأ به فأعْطِيَ شيئا. فقال له الحبيب: (إيّاك والاستطلاع إليها؛ لأنّ في نفسِي منها شيئاً، ولكن ارفع المخَدّة وخُذْ كِفايتك). وقعت هذه القصة لرجلين وكليهما على قيد الحياة إلى الآن.



الحبيب لأوّل وهلة لا يُميِّز

قَدِمَ غريب من الحجر، والحبيب صالح في المسجد، فدخل عليه، وسأله: أينَ الحبيب صالح؟، فأجابه: (هو في المسجد)، فبحث الغريب عن الحبيب داخل المسجد، وطلع على سطحه، فلم يجد أحداً، فعاد وقال للحبيب: ليس في المسجد أحد، فقال الحبيب: (إنه في المسجد)، فقال الغريب: أتستهزأ بي؟، ولولا شيخوختك لكان لي ولك. وخرج من المسجد مُغْضباً، فلقِيَ رجلا آخرَ خارج المسجد، فسأله عن الحبيب، فأجابه: السيد هو الذي يكنس في المسجد، فعاد إليه الغريب واستعفاه، فعفى عنه.

جاء رجل من ممباسا لزيارة الحبيب، فألفى الحبيبَ يُدَرّس، فبقِيَ الرجل متعَجّبا صامِتاً، فسئل عَن تعَجُّبه، فقال: إني جئت من ممباسا لزيارة الحبيب، وكنت أعتقد أنّ الحبيبَ رجلٌ أبيضُ جسيمٌ مهيبٌ، ولو كنت أعلم أنّ الحبيب هكذا ما تجَشّمْت المشاقّ لزيارته.

يا سبحان الله!، انظر إلى هذا الرجل يغترّ بالظواهر!.



تواضع الحبيب صالح

جاءت جارية تطلب الدواء لمولاها من الحبيب، وكان في طبع الحبيب بعض، فألقتْه في قضاء الحاجة، فدقّتِ الباب بقوّة، فصاح عليها الحبيب، فانفلتت الجارية، وفتحَ الحبيبُ البابَ فلم يجدِ الجاريةَ، وكان بشُبّاك المسجد العلامة الحبيب مَنْصِب، فرأى ما كان وما جرى، فقال له الحبيب: لمن تلك الجارية؟، فقال: لآل فلان (لرجل يسكن آخر البلدة)، فسار الحبيب على توّه إلى مولاها، واسترضاه والجارية، ثم أتم الواجب.

ومر رجل بالحبيب صالح وهو بساحة خارج المسجد، وكان بيد الرجل كلب، فأراد أن يدخل المسجد ليصلي، فقال للحبيب -ولم يكن يعرفه-: امسك لي هذا الكلب حتى أصلي. ففعل الحبيب بدون ما استنكاف، فلما قضى الرجل صلاته رأى أناسا قد أحاطوا بالحبيب، فسُقِطَ في يده، وجعل يعتذر إلى الحبيب، ويقول: لم أعرفك يا سيدي فالعفو، فعفا عنه الحبيب.



قصة العلامة السيد أحمد المشهور الحداد

قال: كنت أسمع بالحبيب صالح وسيرته العطرة، فلما كنت في ممباسا عزمت أن أزوره بآمو، فركبت السفينة، ولما توسطنا البحر فكرت أين أنزل بآمو، ومَن يعرفني هناك، وما هو اتصالي بالحبيب صالح حتى أقصده مباشرة؟، فكانت الهواجس تدور في خلدي آونة تلو آونة، حتى بدت لنا آمو، فرأيت بميناء آمو جموع غفيرة، وكان بالسفينة القاضي باكور قاضي آمو، فلم أشُكّ أنهم جاؤوا لاستقبال قاضيهم، وقلت في نفسي: ينزل القاضي ويبقى الحداد فريدا مَنْسِيّا لا يعرِفُ أين يأوي، وحينما نزلت من السفينة رأيت رجلا وسيما عليه هيبةً، وبه سِمَةُ أهل الفضْل والصّلاح، رأيته يقترب مني، ويسألني: أأنتَ الحداد؟، قلت: نعم، فقال: إنّ والدي الحبيب صالح أمرني أن أجيءَ أنا وجميع الطلبة إلى السّاحل لاستقبالك، قال: قال الحبيب صالح: (إنّ حفيد مولانا الحداد يقْدمُ إليّ اليوم، فيجبُ أن تستقبلوه بالزفاف وبالابتهاج اللائق). قلت: أينَ منّي هذا المقام؟، ومَن أنا؟، قال الرجل -وهو العلامة الحبيب أحمد البدوي-: هذا أمرٌ إجباري صدَرَ مِنَ الوالد، وإنْ رأيتَه عظيماً. فرضِيتُ على كُرْهٍ منّي.

دخلتُ على الحبيب صالح، فألفيته يدرِّسُ (إحياء علوم الدين- كتاب آداب السفر)، ويقول: (لا يُسْتَحْسَنُ لأحدٍ أن يسيرَ أكثر من مرحلتين إلا ومعه ثماني أدوات، وهي: مقْلَمة، موسى، محفظة، مخيط، مقص، مدراة، مزادة، مرآة). وقد فكر السيد المشهور في أنه يستصحب منها أربعا، وحدّث نفسه بذالك، فالتفت إليه الحبيب وقال له: (وأنت يا حدّاد تسير أكثرَ من مرحلتين وما معك إلا أربعة، مع أنّ صاحب بغية المسترشدين سيدي عبد الرحمن المشهور كان إذا خرج من تريم إلى زيارة نبي الله هود استصحب كلّ الثماني

أدوات)، فقال السيد المشهور في نفسِه: إذا كان الحبيب كاشفني فأنا أريد السفر إلى كسمايو، فليبين لي: كيف أسافر إليها؟، ومعَ مَن أسيرُ؟، فقال الحبيب له: (وإنك عزَمْتَ السفر إلى كسمايو، ثم إلى حضرموت، وقد أمرت الولدين عليّ البدوي، وعمر العيديد، أنْ يصحباك ويؤنساك في الطريق، ويُعرّفاك إلى كلّ أهل القرى، فلا يشقّ عليك السفر، وإذا وصلت كسمايو فسَيتَيَسّرُ لك السفرُ إلى الحَجّ إن شاء الله).

ثم قال له الحبيب: (وماذا قال لك أحمد سعيد بازياد ووصّاك أن تبلّغَه إليَّ؟)، وكان السيد المشهور نسيَ ذكر تلك الوصاة، فذكر له الحبيب صالح جميع ما وصاه به بازياد.

ثم قال له الحبيب: (وسمعت أنّك تتزوج بفلانة عمّا قريب، فهل تمّ أمْ لا؟). فكاشفه بما يتعلق بالزواج مكاشفةً عجيبة.

وبينما الحبيب صالح في المسجد والسيد المشهور معه إذ أذن مؤذّن، وبعد أنْ ركعوا أقامَ المؤذّن الصلاةَ، فقال الحبيب للسيد المشهور: (يا حدّاد قُمْ صَلّ بالناس)، وكان الحبيبُ يكلّمه بلغةٍ فصيحة مترسّلا، يعرف موقع الكلام ومبانيه، فهاب السيد أن يتقدّم على الحبيب، وعلى العلامة الحبيب أحمد البدوي، فسمع مِن خلْفِه العلامة البدويّ يقول له: اغتنم الإشارة. فأمّ بالناس؛ مُغتنماً لهذه الإشارة.

وحينما كانَ الحبيبُ صالح والسيد المشهور في البيت ذكر الحبيب صالح: (أنّ أحمد العطاس –هكذا بدون تقديم الحبيب ولا السيد؛ تجربة للسيد المشهور– إذا زار تريم قال لمن معه: ادفنوا ما معكم وراء هذا الكثيب، وادخلوها فارغين؛ لتملؤا

من تريم ما تملؤا من أسرارٍ وعلوم). فأجابه السيد المشهور على الفور: قد رميتُ ما معي في البحر، وجئت فارغا. فعلم الحبيب أنه فهم مراده، فقال له: خليت الحوانيت الكبار واستبضعت من دكاني الصغير؟، فقال له المشهور: جميعُ بضائعهم أرسلوها إلى دكانك.

ثم استطرد الحبيب صالح في ذكر حضرموت، فذكر قيدون كأنها شاهد عيان، وذكر مساجدها وما زِيدَ فيها، وما رُمّمَ، وذكر طرُقاتها حتّى أزقتها، ثم ذكر بعض مدن حضرموت، ثم أفاض مِن ذكر السّادات والأقطاب إفاضَةً مُبهِرَة، وفي آخر كلّ قصّة يقول: (ذُولَا رجال يا حدّاد). واستوعبَ مناقب القطب الحبيب علي الحبشي رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُم أجمعين ونفعنا بهم آمين.

ثم ارتحل العلامة السيد المشهور إلى كسمايو، ولقي في كلِّ طريقه كلَّ حفاوة وتقدير، ببركة الحبيب صالح، وسمع كل الناس مولعين بذكر الحبيب صالح وحالَمَا وصل كسمايو لقِيَ تيسيرا في رحلته إلى حضرموت لم يُقَدِّر له، لَقِيَ في كسمايو باخرةً إيطالية لا عَهْدَ لها بالقدوم إلى صوماليا بتاتا، فحملتْه إلى جُدّة بكلّ تيسير، وبكرامة ظاهرة.

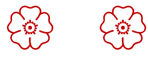



عيش الحبيب صالح

اعتاد تلامذة الحبيب صالح أنْ يقيموا له يوميّا السماع، وذات يوم وهم في السماع أُهْدِيَ إلى الحبيب أنواع الأطعمة وألوان المأكولات، فوضِعَتْ تِجاه الحبيب، وأذن لتلامذته أن يتناولوها، وقال لأحد تلامذته: (يا ابن جُمْعان، أعطني فِنْجاناً منَ القهْوة يكفيني)، فلمّا أتى به قال له: (ارفع المِخَدّة)، فرفعها فلم يجِدْ شيئاً، فقال الحبيب: (ارفعها وما تحْتَها)، فوجد بها كِسْرَةَ رغيفِ جلْف أكلته الأيام، ثم قال له الحبيب: (كلوا ما لديكم، وقد كفاني فنجان قهوة وكِسْرة رغيف).

وفي يوم منَ الأيام وُضِع بين يديه صحْنٌ وفيه رغيفٌ واحد، فَفَتَّ، ثم أمر أحَدَ تلامذته أنْ يديرَه على جميع الطلبة الموجودين، وكانوا عددا لا بأسَ به، فدير عليهم فكفاهم أجمعين. ثم قال لهم: (أتدرون ما هذا الرغيف؟)، قالوا: لا، فقال: (كان هذا غذائي أمس وقد كنت نسيتها).

وتمنى يوماً أن يعود إليه رمضان مثل إحدى رمضانات مرّت به، فقيل له: ولِمَ ذلك؟، فقال: (لأني كنتُ سعيداً فيه)، وقال: (كنتُ أفطر على تمرة واحدة، وكسرة رغيف، وكوب ماء فحسب، وأتسحر بكوب ماء وحده، حتى انقضى الشهر، ما أجد غير هذه).





كلام الحبيب صالح

١) قال الحبيب صالح: (إنّ هؤلاء أتونا بسِحْرٍ حتّى سَبونا -يعني الإنكليز-). قيل: وما هو يا سيدي؟، قال: (المال).

٢) وقال الحبيب: (كلام الأشراف يُسمن العِجاف).

٣) وقال الحبيب: (كن الدنيا ولا تكن دنيويا).

٤) وقال في تفسير آية: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ [الزخرف: ١٨]: (مثل المرأة مثل البصَل ليس له لباب).

٥) وقال: (لا يموتُ عاص أهل البيت إلا ويطهر قبل موته، إمّا بالتوبة، أو بموته غير مكلف).

٦) وقال: (مَن أحبّك كاد يضرك، ومن أبغضك كاد ينفعك). قيل: وكيف ذلك؟، قال: (لأنّ مَن أحبّك أغضى عَن عيوبك، فتعتقد أنْ لا عيبَ فيك، ومَن أبغضَك فتحَ لك عيوبَك حتى تجتنبها).

٧) وقال: (التّوَقّي من ذِي جنّة شريعة؛ لأنه رفع عنه القلم).







ثناء العلماء والكبار على الحبيب صالح

من مُكاتبات الحبيب الفاضل العارف بالله حسين بن علوي بن حسين بن الشيخ أبي بن سالم العلوي، إلى الشيخ أحمد بن سالم باشراحيل آمو، لما ساء التفاهم بينه وبين الحبيب صالح بن علوي جمل الليل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فهجر الشيخ أحمد مجالس الحبيب صالح:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله نعم الآل آله، وعلى المحب الشيخ أحمد بن سالم باشراحيل سلمه الله تعالى آمين. قال الله تعالى (من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له).

أما بعد:

فلما رجعت من جاوة، وقصدت الزيارة إلى عدن، وسألت عن أخبار سيدنا الهمام، العالم الولي في زمانه، التابع سيرة جده بركة الأنام، وسيدي العوام، سيدنا الحبيب صالح بن علوي جمل الليل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونفعنا الله به وبركاته آمين

بلغنا أنكم كنتم مواظبين في مجالسته، والآن منقطعين عن حضور مجالسته، والله ما أعظم من هذا الحرمان، ألم تعلموا أنّ النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم قال: «**أوّل مَن يُحْرَم بركة الوليّ أقاربه، ثمّ أهل بلدته**»، وفي الخبر: (ما يكون الولي ولِيّاً حتى يكون أعداؤه أكثرَ مِنْ أحبّائه)، وبالله ربنا المعبود ما أنا في مقالي كذوب الحبيب صالح شفناه في مشهد هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ولكن قال سيدنا الشيخ أبو بكر بن سالم: (لا يعرف الولي إلا الولي)، فما هذا الغرور الذي فيكم يا عباد الله؟، أما تعلمون أنّ هذا الحبيب قطْبُ الأقطاب في جِهتكم، ولا تعلمون اليقين إلا إذا بلغت الروح الحلقوم، وأنتم حينئذ تنظرون، ما أعظم هذه المصيبة يا مساكين أهل الزمان، مولاكم بنى لكم الدين وأنتم تهدمون، ألا أن هذا الحبيب ركن من أركان الرسول صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم غير منهدم، والله لقد صدق قطب الزمان علي بن محمد بن حسين الحبشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونفعنا به آمين حيث قال:

لیسَ الحصى عند من يعرف الدرر * لكن هذا الزمن حيّر بأهل الفكر
عند أهله الجوهر الغالي سواء والبعر * ما ميّزوا بين أهل النفع وأهل الضّرَر

تم كلام الحبشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وإذا استخرجت هذا الكتاب استخرج في حضرة عرب لامو كلّ واحد منهم يسمع هذه المواعظ المباركة، وما ذكرت لكم هذا إلا لنصيحة الدين، والله الموفق والمعين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الحقير محبكم الفقير الراجي عفو مولاه/

حسين بن علوي بن حسين بن الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي

بتاريخ اثنا عشر صفر سنة (١٣٢٦) للهجرة النبوية



مواقف الحبيب صالح

قال الحبيب صالح: "(يا نبي سلام عليك)، هذا التسليم الواجب عليك للنبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، وبعد التسليم ينبغي الترحيب، وهو معنى: (مرحبا يا نون عيني، مرحبا جَدّ الحسينِ).

ثم قال: أتدرون لِمَ ذُكِرَ الحُسَين؟؛ لأنه استشهد في رضا الله تعالى، وهو أصل معرفتنا".

ورأت امرأةٌ رؤيا أفزعتها، رأت النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم على سطح دارها ومعه العود (آلة اللهو المعروفة)، فجاءت إلى الحبيب ليعبرها لها، فلقيته يخرج من بيته مع العلامة الشيخ عبد الله باكثير، فأوقفته، ففسر لها الحبيب، وقال لها: (الرؤيا حق، والعود الذي رأيتيه بيده معناه: أنّ في بيتك عود، وأراد النبيّ صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم أن يزورك فمنعه العود من الدخول).

ولما رجع إلى الشيخ باكثير -وكان قد تنحَّى عنهما قليلا- أخبره بما وقع، فقال له العلامة باكثير: اللهُ أعلم حيثُ يجعل رسالته.

وكان يُدَرّس في مقتل الحسين، فأثار استشهاد الإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثائرةَ الحبيب، فاربدّ لونه، وانتفخت أوداجه، وقال: (قاتل اللهُ مَن قتَل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، ثم تكلم طويلا وعيناه تذرفان الدمع حتى سكت.

وقال الحبيب ذات يوم للعلامة الحبيب منصب، والعلامة الشيخ عبد الله باكثير: (الدين شيئان: حُبّ الطاعة، وبُغْضُ المعْصِية، أمّا فعل الطاعة وترك المعصية فالتوفيق من الله)، فأنكرا على الحبيب صالح ذلك، وكأنهما استغرباه.

فلما قدم الحبيب أبو بكر بن علوي الشاطري (موني ومكه) من حضرموت، سأله الشيخ عبد الله عما استفاد من حضرموت، ومن قطب الأقطاب الحبشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال له سمعته يقول: طريق آل باعلوي شيئان: حُبّ الطاعة، وبُغْضُ المعْصِية).



كرامات الحبيب صالح

* جاء رجل لطلب حاجة ونقود من الحبيب، فقال له الحبيب: (اخرج فمن لقيته على الطريق فقل له: إنّ صالحا يطلب أمانته). فخرج الرجل، فلقي رجُلاً متين البِنْية مَهيبا، فخاف طالبُ الحاجة على نفْسِه من ذلك الرجل، فعاد إلى الحبيب وأخبره بما كان، فقال له: (اخرج الآن وافعل ما أمرتك)، فخرج فلقي رجلا هادئا، فسأله عن الأمانة، فأعطاه كفايته، فذهب الرجل على سبيله ولم يعد إلى الحبيب.

* جاء أمان عمر عوض إلى الحبيب، فقال: إنّ ابنه مريض، ويطلب من الحبيب الدعاء والدواء، فقال له الحبيب: (أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك)، فعجب الرجل، وقال في نفسه: لعل الحبيب ما فهم كلامي، كيف يعزيني في مريض لم يجهده المرض؟، فما إنْ خرج حتى كان النعي في انتظاره بالباب.

* استودع رجل عنده وديعة، ثم جاء إلى الحبيب، وقال في نفسه: (لو أعطاني الحبيب وديعتي لفعلت بها كذا وكذا)، فابتدره الحبيب، وقال له: (يا رجل الطمع جنون، فلا تطمع ولو على وديعتك حتى تقبضها).

* رأى رجل في المنام أنه يتبع الحبيب صالحاً، فدخل الحبيب بيتا فأغلق عليه الباب، فبقي الرجل خارج البيت ينتظر الحبيب حتى مَلّ، ثم استيقظ، وفي الصباح توجه إلى الحبيب ليقصّ عليه ما رأى، فما إنْ رآه الحبيب حتى ابتدرَه قائلا: (أتعبناك البارحة، فلن تُرَاع).

* أضل بن ماضي بقرا له في بادية، فنادى: يالحبيب صالح أدركني. فرأى رجلا بصورة الحبيب وسمته يسوق كلّ بقر له إليه، حتى أوصلها إليه بأجمعها، وفي صباح اليوم التالي جاء ابن ماضي إلى الحبيب ليخبره بما جرى، فابتدره الحبيب فأخبره به.

* حج واحد من آمو مع زوجه، فبينما هو بعرفات إذ هو بشيخ يستسقيه، فأعطاه الماء، فلما أدبر الشيخ قال الرجل لزوجه: أرى أنّ ذلك الشيخ هو الحبيب صالح. فلما عادا إلى آمو أخبرهما الحبيب بأنّ ذلك الشيخ هو بعينه.




آخر حياة الحبيب صالح

قال الحبيب صالح في مرضه الذي ماتَ فيه لحقّان: (إنني سوف أموت عمّا قريب، فهل تريد الصحبة؟)، قال له حقّان: أجَل. فلما احْتُضِرَ الحبيب دعاه، وقال له: (الموعد الآن)، فقال حقان: يا حبيب تقدّم؛ ففي السفر سابق ولاحق، ودعني حتى حين.

مراثي الحبيب صالح

قال الحبيب عمر بن أحمد ابن سميط: فاجأنا البريد بنعي بقية الصالحين : وخاتمة الناسكين الذي قال في حقه الحبيب القطب علي بن محمد الحبشي : الولد الذي صدق وصدق وتوجه وتعلق وحفظ في تعلقه عن العوائق فلم يتعوق ، وبشراه بالمدد والنيل والعطاء الهيل من غير كيل السيد صالح بن علوي جمل الليل ، مات هذا الحبيب في ثاني هذا الشهر في بندر (لامو) وعظمت لفقده مصيبة الدين لأنه لم يبق بعد الماضين من يستصبح بنوره غيره ، لذلك رثيته بقولي :

سهم الأسى دين الإله أصابا * والنور من أفق السواحل غابا
ودروسنا اندرست عفاها الحزن فالـ * أقلام تبكي العلم والآدابا
أودى عفيف الدين ثم شهابه * واليوم صالحنا تلا الأصحابا
يا نكبة الدين الحنيف لموت من * للرسل كانوا بيننا نوابا
كانوا لنا شمسا وعافية وهل * للنفع غيرهما ترى أسبابا
من يا تراه اليوم يرفع عن وجو * ه المشكلات بزنجبار نقابا
أو في ميادين العلوم إذا دعى * وقت الكفاح إلى النزال أجابا
أومن بلامو بعد من فقدت ترى * يهدي الغوي ويرشد المرتابا
ويقوم في إحيا الطريقة سالكا * نهج النبي ويقتفي الأصحابا

❀ ❀ ❀

وقال العلامة الشيخ محمد بن علي المعاوي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من أذعنت له الخلق بالولاية ، وسما بنورمعارفه شأو الدراية، القطب الذي حوى بإرشاده الهدي النبوي المرحوم المغفور له الشريف صالح بن علوي بن عبد الله جمل الليل باحسن باعلوي (من تلامذته بلامو).

لما كان ضحوة يوم السبت ثاني المحرم فاتحة عام ١٣٥٤ أظلمت أرجاء لامو بل وجميع السواحل إذ أفلت شمس الدهر بوفاة إنسان عينه البحر الكامل ، قدوة الأنجاب ، وبقية الأقطاب فقيد الإسلام وبركة الأنام الذي واصل في الإرشادات والعبادات نهاره بالليل المرحوم المغفور له الحبيب صالح بن علوي بن عبدالله جمل الليل المنتقل إلى جوار مولاه في دار كرامته ورضاه . فتقدم من حاز قصبات السبق من تلامذه وسرى إلى نهجه بضوء مشكاة مودته ، الذي ارتشف من فيض علومه الكأس الراوي ، الأستاذ الشيخ محمد بن علي المعاوي ، ورثاه بقصيدته التي نشرت من محاسن شيخه نفح الطيب العبير ، وأوضح معاليه فيها ولا ينبئك مثل خبير ، فلقد والله جمعت أفراد أوصافه بدر معانيها ، وصاحب الدار أدرى بالذي فيها ، فقال محفوفا من الفقيد بعين العناية وحسن الرعاية :

عظمت فعين الدهر أمست باكيه * لأفول شمس ضيائها المتلاليه
عظمت رزيتنا بفقد أنيسنا * وطبيب أنفسنا إذا هي شاكيه
قطب الملا العلم الذي هو مفرد * في عصره رفع الإله مبانيه
لله كل الأمر هذا حكمه * ماض وعادته علينا جاريه

قد جل خطب في ذهاب السادة الـ * ـعلما فما يطفي أساي بكائيه
لكن الاسترجاع فيه مرجعي * وكذلك استسلام حكم إلاهيه
من ذا الذي يهتم فينا بعده * وإليه نهرع إن دهتنا الداهيه
ومن الذي تأتيه باسط وجهه * فيسل أحزانا بقلبك ثاويه
من بعده تلقاه باسم ثغره * فكأنما هو يرتجيك تلاقيه
ذاك الحبيب أبو المكارم (صالح) * إسما وذاتا مع صفات عاليه
من نور المولى له بتعبد * وتهجد أيامه ولياليه
محيي طريقة سادة علوية * أجداده أهل المعالي الساميه
هو عالم هو عامل هو كامل * بحر الحقيقة زاهد في الفانيه
(أبناء باحسن) جرى حكم الإلـ * ـه فقابلوه بالنفوس الراضيه
حق التأسي بالنبي عليكمو * في ذا المصاب فأي نفس باقيه
هذا وبركتنا الحبيب اختاره * بجواره المولى الكريم مواليه
لله من حبر هدانا للصلا * ح بدعوة لجميع خلق حاويه
إذ كان طول حياته متحملا * أعباءها حتى ألان القاسيه
لله قام بهمة نبوية * وعزيمة أبدت مناقب راقيه
مستغنيا عما بأيدي الناس من * دنياهمو ولهم إليه داعيه
نشر العلوم ففاح منه الطيب في * أقطارنا قد شمه ذو العافيه
كانت علانية لديه شبيهة * بسريرة وسريرة بعلانيه
بعلو همته اهتدت (لامو) إلى * آثار أهل البيت فهي مباهيه
وعلى طريقته السواحل قد غدت * من فيض بركته العميمة ساعيه
هو نعمة المولى علينا ربنا * نرجوك تجعلها علينا باقيه

فلتبكــه منـا القلـوب وأربـع * ومسـاجد ومـدارس والزاويـه
قـد كنت فينا (يا ابن علوي) أبا * تحنـو علينـا مثـل أم حانيـه
أحييـت سـنة جـدك الهـادي وآ * ثارا لـه وشـعاره ومعاليـه
وجهـرت بالحـق المبيـن ولم تخـف * فيـه الملامـة منـك نفـس زاكيـه
ما كان همك في اكتساب معيشة * أصـلا ولا نيـل الحظـوظ الواهيـه
بـل كـان همـك في أمـور المسلميـ * ـن ومـا علـيهم مـن أعـادي باغيـه
أسـهرت جفنـك في الليـالي قائمـا * بعبـادة المـولى الكـريم مناجيـه
نـورت أيامـا بصـومك فاكتسـت * حلـل الرضـاء مـن المهـيمن زاهيـه
قـد كنـت تولينـا جميلـك مشـفقا * والعـين منـك لحـق كـل راعيـه
وسـقيتنا صـفو المشـارب بعـدما * كنـا ظمـاءً في قفـار خاويـه
قـد حـزت حـالا منهضـا ومقالـة * للحـق ترشـد كـل نفـس طاغيـه
لـولاك يا مؤتمنـا لم تنفـتح * أبصـارنا فلنـا بنـورك واقيـه
أهمـى الإلـه علـى ضـريحك رحمـة * تهـدي إليـك مـن الرضـاء أياديـه
وعليـك بعـد المصـطفى والآل وال * أصـحاب مـن ربي صـلاة ناميـه

وهذه من أحد تلامذته الصادق في مودته الأديب الفاضل الشيخ علي بن حسن القمري ، لا زالت إمداد هذا القطب له ولجميع المسلمين تجري :

سبحان من في أرضه وسمائه * ساوى الفنا في خلقه بقضائه
عظمت رزايا ديننا (بمحرم) * ولكم نصاب بكربه وبلائه
سار الحبيب إلى جوار إلهه * وتكشفت شمس الهدى لندائه
كان الصفا بحياته متمسكنا * وتبدلت أحوالنا بجلائه
أجلى القذا عن كل عين والعمى * عن كل قلب من جليل شفائه
نفديه حقا من أقام فلاحنا * بنفوسنا لترى الصفا ببقائه
لكن حكم الموت عم فلا بقا * وبذا أطعنا الله في إمضائه
لا طيب عيش بعده كيف التسل * ـي للنفوس سوى جميل عزائه
أهل السماء تشاركوا بتشيع * في نعشه وتزاحم بفنائه
عيني أبكين لفقده بتلهف * إذ عمنا بصلاته ووقائه
قد عاش دهرا ناصحا لبرية * في الدين يرشدهم لطرق علائه
مذ حل (لامو) أشرقت أرجاؤها * وتنورت سبل الهدى لسنائه
قد كان كهفا للشدائد والبلا * وعن العدى حامي الورى بحمائه
كان المجاهد في النهار بنصحه * وقيامه بالليل جل منائه
قد كان مصباح السواحل في مسا * جدها العلوم تضيئ من لألائه
غيث النوال همى بجود عطائه * بحر الكمال طمى بحسن سخائه
يا نور عين القطر يا بدرا سما * من قد تكامل رشدنا بدعائه
من حاز أوصافا حسانا قد علت * يكفيك منظره وطيب لقائه

كان الأنيس لمن برته همومه * بل والطبيب لمن أتاه بدائه

يا سيد قطب الورى يا غوثنا * قد صرت جار الله مع صلحائه

غوث الورى شيخي (ابن علوي صالح) * صلحت جميع خصاله بصفائه

يا رب فانفعنا به وبسره * وارفع له الدرجات مع رفقائه

أولاه مولاه الجميل بما سعى * ليقر عينا من هبات جزائه

فعليه رحمة ذي الجلال مبوءا * أعلى الجنان يحل مع شهدائه

وعلى النبي صلاته وسلامه * ما غاب (بدر) لامع بضيائه

والآل والأصحاب والأتباع ما * قد طاب حسن ختام أهل ولائه

نظم الأستاذ النبيل الشيخ برهان الدين محمد مكلا القمري في فقيد العلم والإرشاد ببلدة لامو المرحوم بكرم الله السيد صالح بن علوي جمل الليل المتوفى سنة ١٣٥٤هـ

فسد الزمان وجفت الأقلام * في وصفه فاستعبر الإسلام

وأصابت العقلاء منا دهشة * من سوء ما يبدي لنا الأعوام

هم يندبون الدين دين محمد * من عز ناصره كذا الخدام

فتك التفرنج في البلاد بكل من * لعبت به الأهواء والأوهام

يا ويحنا إن دام هذا بيننا * حتى استحى من بشعه الحشام

ونرى الخلاعة تنذر الجمهور من * غاراتها فجنودها الأسقام

ولذا فأسراها على خطر إذا * لم يعدلوا عنها وهم أجسام






خاتمة

مِن المكاتبات القطب الغوث سيدي علي بن محمد الحبشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونفعنا به إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن سالم باكثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونفعنا به آمين.

وسبب المكاتبة: أن الشيخ العلامة المذكور حضر بعض دروس الحبيب صالح، فانْجَرّ بهم الكلام إلى ذِكر قصيدة الحبيب الحبشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (يا ابني أقوالي الليلة على ساسْ محكوم)، حتى بلغوا إلى ذكر: (سطر يعرفه مَن له فهم في غُلبت الرّوم)، وهذه القصيدة من النظم الحميني الحضرمي كما لا يخفى.

فسأل الشيخ باكثير الحبيب صالحا عن هذا السِرّ ما هو؟، فأحجم الحبيب عن الإجابة، وهابَ المقام، واعتذرَ.

فكتب العلامة الشيخ إلى القطب الحبيب علي الحبشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُما يستفتيه عن ذلك، فأجابه بهذا الكتاب.

ثم بعد أيام جاء الشيخ علي بن محمد الخطيب إلى الحبيب صالح، ونام في مسجد الرياض، ورأى في منامه الحبيب علي الحبشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول له: إشارتي في (غلبت الروم) إلى الآية الكريمة: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ [الروم: ٣١] الآية. والله أعلم.

وهذا هو الكتاب:

(بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي توجهت إليه رغبة الراغبين، وعلى أعتاب فضله عكفت همم القاصدين، وفي فوائد مدده انتهت أطماع الطامعين، حُبّا له ومنّا منه بتعلق صادق ثبت به في القلوب نور الإيمان واليقين، وما أسرع الإجابة من قلب صدق في حُبّه فكان في تعلقه مِنَ الصادقين.

ولله رحْمَةٌ واسعة تضُمّ الغَثّ والسمين، وتجمع البليد والفطين، وهنا يتنزّل الأمر على قلوب العارفين ببشرى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

والصلاة والسلام على مجمع الكمالات الإنسانية، وسِرّ معنى التكوين في كل إبهام وتعيين وتلوين وتمكين، الشهيد الحاضر في مظاهر الإقبال ومراتب الكمال على بصيرة ويقين، سيدي رسول الله محمد بن عبد الله الصادق الأمين، صلى اللهُ وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

من العبد الذي تعلقت همّته بمَن غمرَته نعمتُه، وشملته مِنّتُه، الفقير إلى مولاه في مبدإ أمره ومنتهاه **علي بن محمد بن حسين الحبشي**، عفا الله عنه آمين.

إلى أخصّ محبيه، الشيخ الوجيه، الذي ظهر سر صدق المحبة فيه، الشيخ الفاضل الأديب الحلاحل **عبد الله بن محمد باكثير**، جمع الله في مراداته بين صدق التعلق والوقوف على ثمراته، وأطلعه على سِرّ الخصوصية في خواصّ البرية

عند توجهاته، تبصرة أنتجتها صحة القصد في معاملاته، والإخلاص في أعماله ونياته، آمين.

أصدرها من سيئون؛ لإهداء السلام بعد تكرر الكتب من محبِّي، ووقوفي منها على ما يشرح البال، من ثمرات التعلق الروحي، وفوائد الاتصال، وما ذلك إلا من بركات الصدق في الوجهة، وقصر النظر في المواجهة.

وعلى هذا دارت دوائر الاستمداد، من الراغبين في الأمداد، فامتزج الإرشاد بالإسعاد، بعد أن مطرت عليه هواطل سحب فتح الجواد، ولسان القرآن يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [سورة ص: ٥٤]. وما يجده محبي من التعلقات القلبية، وينشرح به صدره عند سماع النغمات الشوقية، المودعة في كلمات أرباب الخصوصية، فذلك من أقوى الأدلة على أن الصحبة خالية من العِلّة، ولنا بك تعلّق، كما أن لك مثله، ولا يقوى على عمل السِرّ إلا أهله، وهذه كلمات رقمناها، بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١]، و﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٤٤]، ومشهودات عين البصيرة لا تتناهى،﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١].

وهذا إليك من طريق ولدي، وأقوى عُدَدِي، والداخل في عَدَدِي، السيد العلامة أحمد بن أبي بكر ابن سميط، فقد قرّت والحمد لله العين بلقياه، واجتمعنا وإياه على كمال الود والمصافاه، نجري جياد الأفهام في ميادين الفتح والإلهام، ونتناشد الأخبار في مطويات الليل والنهار، تارة نعرب عن البان وأهل البان،

وتارة نصغي إلى المعلنين بالأذان بالآذان، وفي الإعراب شؤون خفية، وفي السماع دواعي قلبية.

ولله في الاتصال القلبي بين أهل الوداد الحي والشهود القربي تَعَرُّف يُثْمِرُ المعْرِفَة و تألّف للأرواح المؤتلفة، ومِن أينَ يشرحُ أمْرَ الذات مَن عجَز عن شرح أمْرِ الصّفة؟.

والغُرْبَة كما أثمرت في بعض المواطن كُرْبَة، كذلك أثمرت في بعض المواطن قُرْبَة، وأحسبك لا تشعر إلا ببعض إشارتي في عباراتي، ولكن لك نوع وجدان يدركه منك الجنان، فلك الهناء بذلك الوجدان.

وإني بحمد الله كما أدعو لك أدعوك، والدعاء والدعوة لهما عند المتعلقين نشْوَة، تُورِثُ الضّعيف قُوَّة، ويتّصِل بهما تعلق البنوّة بسِرّ الأبوّة، فالله يوَفِّر أقسامَنا من الصّدق في الطلَب حتى نظفر بالمطلوب، ومن الوفا بشروط الأدَب حتى تنبسط رحمة الرّبِّ على المربوب، ولك الدعاء منّي في توجهاتي بخالص دعواتي.

وبلغ سلامي الولد الذي صَدَقَ وصدَّق، وتوجّه وتعلّق، وحُفظ في تعلقه عن العوائق فلم يتعوّق، وبشراه بالمدد والنيل، والعطاء الهِيل بلا كيل، **السيد صالح بن علوي جمل الليل**.

وقد بلغني كمال الاتصال بينك وبينه والاتحاد، والله يجعل فوائد ذلك الاتصال في ازدياد، ومني السلام عليك وعليه، مني ومن أولادي، وأخي شيخ وأولاده، وبلغ سلامنا مَن له تعلق بنا من أصحابك.

وانشر يا محبّي دعوة المصطفى في أقطارك، وواصل السُّرَى في تبليغها إلى أطراف تلك البلاد، حتى تُكتب في الداعين إلى الله، والسلام).

حُرِّر في: شهر شعبان (٢٦) سنة (١٣٢٥هـ)

* * *

وهذه من مكاتبات الحبيب منصب بن عبد الرحمن لما وصل حضرموت سنة (١٣٠٦هـ)، إلى الحبيب صالح بن علوي جمل الليل رضي الله عنهما في الإجازة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد:

مما مَنّ اللهُ تعالى عليّ وصولي حضرموت، وواجهت مولاي العارف بالله **عيدروس بن عمر الحبشي**، وطلبت منه الإجازة، وأجازني.

وهذا ما كتبه لي:

(بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله هادي من أراد إرشاده للسلوك في طلب الحقّ بين عباده، وموفّقه لاقتناص الحكمة وطلَب أهلها وإنْ شطّتْ عن بلاده.

والصلاة والسلام من الرب الكريم المجيد المهيمن على سيدي محمد القائل: «**الحكمة ضَالّة المؤمن، فمتى وجدَها أخذها**»، وعلى آله وصحبه الناهجين بحسن الاتباع، وعلى من تبعهم وأحبهم وكمُل له بذلك الانتفاع.

وبعد:

فقد وصَل إلينا السيد الشريف الندب المنيف **منصب أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر**، المتصل نسبه بسيدنا قطب المكارم أبي بكر بن سالم، إلى الجهة الحضرمية، مستمدا وزائرا لسلفه السادة العلوية، والبضعة المصطفوية، وإن شاء الله يحصل له المراد من رب العباد.

وكان من نعم الله عليه أنِ اجتمعَ بالفقير إلى الله **عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي**.

وكان من حُسْن ظنّه أنْ طلب منا اتصال سند الطريقة العلوية، ذات الشرف والمزية، فأجبناه بطلبته، وطلب اتصال سنده إلى جَدّه قطب المكارم سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وتفصيلها:

الفقير أخذها في زمَنِ صِباه وسن تمييزه من يَدِ شيخِه الإمام والده محمد بن عيدروس بن عبد الرحمن الحبشي، وشيخه القطب الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، وكذا أخذ من الحبيبين عبد الله بن حسين بن طاهر، والعارف بالله عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بلفقيه صاحب كتاب الرشفات، ومن قطب العارفين وإمام الصديقين الحبيب حسن بن صالح البحر الجفري، ومن الحبيب

محسن بن علوي السقاف منصب سيئون، وهو من والده الحبيب السيد علوي، وهو من يد شيخه الحبيب علي بن عبد الله السقاف الساكن بلد سيئون، وهو من يد الحبيب أحمد بن زين الحبشي صاحب الرسالة الجامعة، وهو من يد شيخه قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، وهو من الحبيب شيخان، وهو من أبيه الحبيب حسين بن أبي بكر بن سالم، وهو من أبيه الحبيب سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

وأجزته في هذه الطريقة خصوصا، وهي أن يجلس لذلك مستقبلا متطهرا، ثم يتوب إلى الله، ويصلي على النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، ثم يقول ثلاث مرات: (لا إله إلا الله محمد رسول الله صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم).

يستحضر في الأولى: أخذ سيدنا جبريل عليه السلام لها من ساق العرش، ويستحضر في الثانية: أخذ سيدنا علي كرم الله وجهه لها من النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم، وفي الثالثة: أخذه لها من شيخه بالتلقين، وهو من شيخه الذي أخذها عنه.

ثم يقول: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) ثلاثمائة وستين مرة (٣٦٠)، يستحضر في المائة الأولى معنى: (لا معبود إلا الله)، وفي المائة الثانية معنى: (لا مقصود إلا الله)، وفي المائة الثالثة معنى: (لا موجود إلا الله)، وفي الستين معنى: (لا مشهود إلا الله)، ثم يقول الثلاث مرات أيضا: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) مع الاستحضار السابق بكل مرة. اهـ.

وقوله: (يصلّي على النبي صَلّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلّم) غايتها مائة مرة.

هذا باسم السيد منصب بن عبد الرحمن، حفظه الله تعالى آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.



فهرس محتويات الكتاب